د. محمد مورو

فتحى الشقاقى

صوت المستضعفين فى مواجهة مشروع الهيمنة الغربى

الناشر
مركز يافا للدراسات والأبحاث

اسم الكتاب: فتحى الشقاقى : صوت المستضعفين فى مواجهة مشروع الهيمنة الغربى
المؤلف: د. محمد مورو
سنة لنشر: ١٩٩٧
رقم الايداع: ٢٤٠٠/٩٧
الناشر: مركز يافا للدراسات والأبحاث ـ القاهرة
العنوان: القاهرة ـ ص .ب/ ٨٠٦ المعادي ـ رمز بريدي/١١٧٢٨
ت/ فاكس: ٣٧٥٦٥٩٦
CAIRO·11728 P.O.BOX 806 MAADI - Tel.Fax: 3756596

مقدمة

الحديث عن الشهيد فتحى الشقاقى، وعن جهاده، وعن مشروعه الفكرى والحركى، بالنسبة لى ، ليس أمرا محايدا... ذلك أن العلاقة مع الشهيد لم تكن فقط علاقة سياسية أو فكرية أو نضالية... بل كانت انسانية فى المقام الأول... ولعل إنسانية فتحى الشقاقى كانت أحد أسباب نجاحه المنقطع النظير فى تحويل مشروعه الفكرى إلى كيان واقعى، وإلى مواقف ممهورة بالدم والفداء.

الزمان والمكان... الحلم والأمل.... الإطار التاريخى والانسانى كانوا جميعا يتشابكون كخيوط من نور لتنسج تلك العلاقة التى لم تنقطع شكلا ومضمونا منذ عام ١٩٧٨ وحتى عام ١٩٨١ والتى لم تنقطع فكريا منذ عام ١٩٨١ وحتى استشهاده فى مالطة فى ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥.. والتى لن تنقطع بإذن الله لأن فكره ومنهجه ومواقفه تشكل ملحمة فكرية ونضالية تظل منارة لنا إلى أن نلقى الله تعالى...

كان اللقاء الأول فى أواخر عام ١٩٧٨ على أرض جامعة الزقازيق حيث كان فتحى الشقاقى يدرس الطب بتلك الجامعة، وكنت أنا أدرس الصيدلة بنفس الجامعة.. والكليتان متلاصقتان والعمل السياسى الطلابى الإسلامى يزيل حدود الكليات بل حدود الجنسيات.

كان هناك فى خلفية العمل السياسى الطلابى وغير الطلابى فى ذلك الوقت حدثان هامان أولهما تصاعد الثورة الإسلامية فى إيران... التى انتصرت فيما بعد فى فبراير ١٩٧٩ وأصبحت إحدى حقائق العصر وإحدى حقائق العمل الإسلامى المعاصر وثانيهما زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ والحديث عن السلام المزعوم مع الكيان الصهيونى.

عودة إلى وقائع لقائى الأول بالشهيد أواخر عام ١٩٧٨... كان الشهيد فتحى الشقاقى قد علق إحدى مقالات الحائط فى كلية الطب جامعة الزقازيق، وقد شدتنى تلك المقالة وأدركت على الفور كم هى مختلفة ومتميزة عن أمثالها من مجلات الحائط التى يعلقها

الطلاب الإسلاميون على الحائط وعن مجمل الطرح الإسلامي فى ذلك الوقت، كان فيها شيئ جديد لم نألفه عن الإسلاميين وعن أطروحاتهم وأفكارهم.... هل هو المنهج؟... هل هو الصدق؟ هل هو الوعى المنقطع النظير؟ هل هو كل هذا؟...

المهم أننى وقفت أمام تلك المقالة الحائطية.... وأدرت نقاشا مع باقى الطلاب حولها، وكان حوارا ساخنا أندمجت فيه معهم لدرجة كبيرة جداً... وبينما أنا فى قمة اندماجى وانفعالى حول تلك المقالة، رأيت شخصا يتقدم... كان سنه أكبر من الطلاب بعدة سنوات ويرتدى بالطو من الجلد، فوقع فى خاطرى أنه ليس طالبا بالجامعة... ثم نزع هذا الشخص تلك المقالة، وراح يطويها ليحملها معه... كان الوقت قبل العصر بقليل، ولا أدرى لماذا اندفعت نحوه للتشاجر معه، طالبا منه أن يترك المقالة على الحائط عملاً بحرية الرأى، وأنه لايليق مصادرة أفكار الناس على هذا النحو، وفوجئت به يضحك سعيدا بل ويضحك عدد من الطلاب من حولى... ثم ربت على كتفى بحنان قائلا أنه هو نفسه صاحب المقالة، وأنه ينزعها اليوم حتى يعود غدا ليعلقها على الحائط، لأنه لايأمن إن تركها أن يمزقها أحد، من الادارة أو الاتحاد أو الأمن ولم أشعر بنفسى حتى أندفعت إليه أعانقه ثم أبدأ معه حوارا عرفت منه على الفور أنه فلسطينى جاء ليدرس الطب بالجامعة، وأنه بالسنة الرابعة بالكلية، وأن اسمه فتحى الشقاقي... وكعادتى فى التسرع والانفعال، وبكل الحيوية التى كنا نملكها فى ذلك السن وتلك الأيام رحت أناقش معه القضية الفلسطينية التى كنت أشعر أنها أهم القضايا، وأن التيار الإسلامى لا يعطيها حقها حين يضع تلك القضية على قدم المساواة مع القضايا الأخرى وأن القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للحركة الإسلامية ، أو من المفروض أن تكون كذلك ولم يكد فتحى الشقاقى يسمع هذه الجملة... حتى بادر عليالفور بدعوتى للذهاب معه إلى بيته الذى يقيم به فى إحدى ضواحى الزقازيق، حيث كان قد استأجر شقة مع عدد من الطلاب الفلسطينين فى المساكن التعاونية، هكذا كانت تسمى وقتها ولا أدرى ماذا أصبح اسمها الآن، وهى تقع بين مبنى المحافظة وطريق الزقازيق ـ القنايات فى ذلك الوقت ، ولم تكن

بها مساكن أو عمارت كثيرة فى ذلك الوقت، ومنذ ذلك اليوم لم ينقطع لقائى به يوميا فى ذلك المسكن أو فى الجامعة حتى رحل عام ١٩٨١ وبالتحديد فى آواخر أكتوبر من ذلك العام.

على مدى تلك الأعوام الثلاثة من ١٩٧٨ حتى ١٩٨١، لم تنقطع حواراتنا ولقاءاتنا... وأذكر أننى تعرفت من خلاله على عدد من الشباب الفسطينين، بل والمصريين أيضا، أذكر أنه كان مقيم معه فى تلك الشقة طالب بالطب «فلسطينى طبعا» هو (باسل) وآخر إسمه باسم (يونس) بكلية الزراعة ثم لحق بهم فيما بعد طالب فلسطينى جاء ليدرس الطب أيضا يسمى (نافذ) وفى مساكن أخرى بالقرب من مسكنه عرفت رمضان عبد الله وكان يدرس بكلية التجارة، وأذكر أنه فى أحد الأيام مرض (رمضان عبد الله الأمين العام الحالى لحركة الجهاد الإسلامى)، وكان من المفروض أن يؤدى فتحى الشقاقى امتحانا فى اليوم التالى، أى أن من المفروض أن يسهر الليل ليذاكر استعدادا لذلك الامتحان، ولكنه ترك كتبه وأخذ يهتم بتمريض (رمضان عبد الله) والسهر عليه حتى اليوم التالى وذهب من عند (رمضان) مباشرة إلى الامتحان ومن العجيب أنه نجح بدون مذاكرة!!

أذكر أيضا أننى تعرفت على آخرين لم يكونوا فى جامعة الزقازيق بل فى جامعات أخرى كالقاهرة وعين شمس والاسكندرية وكانوا يترددون على فتحى فى الزقازيق أو يصحبنى لزيارتهم فى القاهرة .

ومن المصريين الذين تعرفت بهم عن طريق فتحى الشقاقى أو عرَّفته أنا بهم أذكر أسامة حميد الشهير بأسامة جغرافيا. وكان طالب بكلية العلوم جامعة الزقازيق ثم حصل فيما بعد على بكالوريوس إقتصاد وعلوم سياسية ثم ليسانس آداب قسم جغرافيا وماجستير فى الجغرافيا وكان عبقرية جغرافية نادرة ولا أدرى ماذا حدث له بعد ذلك

حيث إنه أعتقل لمدة طويلة جداً وكان يحصل على تلك الشهادات من داخل السجون غالبا.

***

كان الشهيد الدكتور فتحى الشقاقى فى ذلك الوقت يضع اللبنات الأولى، الفكرية والتنظيمية لحركة الجهاد الاسلامى الفلسطينى مع عدد من زملائه الأوائل، وكان الحوار لا ينقطع بيننا حول الحركة الإسلامية والقضية الفلسطينية، وكنا نتوصل شيئاً فشيئاً إلى ادراك مجموعة من الحقائق والنتائج.

كنا قد أدركنا فى ذلك الوقت أن حركة الأخوان المسلمين لا تملك أطروحة فكرية قابلة للتطور، وأن هناك عيوبا فكرية وحركية ستوصل الأخوان المسلمين وربما تجر معها الحركة الإسلامية كلها إلى طريق مسدود، كنا نرى أن الاخوان المسلمين يتصرفون بمنطق القبيلة وأنهم يتصورون أنفسهم «شعب الله المختار» داخل الحركة الإسلامية وأنهم يهتمون ببناء التنظيم على حساب الموقف والفكرة، بمعنى أن المحافظة على التنظيم لديهم أهم من اتخاذ الموقف الصحيح، وكان معنى هذا عزلتهم عن الجماهير، وتوصلنا إلى أنه من المفروض أن تكون الحركة، أى حركة إسلامية، مجرد خميرة للنهضة حيث أن الأمة بكاملها هى المسئولة عن التغيير، وأن الحركة الإسلامية مجرد قاطرة لهذا التغيير، أو خميرة لتحريك جسد الأمة بكامله وأن التنظيم مهما كانت قوته وعبقرية بنائه لن يكون قادراً على إحداث التغيير المنشود بمعزل عن الأمة. وكنا نرى أن التنظيم مجرد أداة ووسيلة وليس غاية فى حد ذاته، وأنه يجب على كل حركة أن يكون جذرها الشعبى والجماهيرى هو عنصر قوتها الأساسى وليس تنظيمها وكوادرها، وكنا أيضا نأخذ على الأخوان المسلمين عدم إدراك الأهمية الخاصة والمتميزة للقضية الفلسطينية بإعتبارها القضية المركزية للحركة الإسلامية ، وكنا ندخل فى اشتباكات فكرية حادة مع عناصر الأخوان بسبب اهتمامهم المبالغ فيه بالقضية الأفغانية على حساب القضية الفلسطينية ،

وكنا نـرى أن معنى هـذا أن هناك خللاً واضـحا فى البـنيان الفكـرى للأخوان المسـلمين، وليس مجرد خطأ تكتيكى فقط.

وكنا نـرى أن حركـة ـ أى حركـة ـ ينبغـى أن تكون مجـرد حلقة مـن حلقات الـكفاح الإسلامى تمتـد بصلة وثيقـة إلى ما قبلهـا، وتتطور فى اتجاه مـا بعدها، أما اعتـبار الأخوان المسـلمين أنفـسهم الحركـة الأم هو نوع مـن إفقاد الحركـة لنفـسها وللـحركة الإسلامـية بالكامل أصالتها، بل ويثير حولها سؤال عـن شرعية نشأتها، فهل سقطت من كوكب آخر فجأة وبلا مقدمات، والصحيح، أن الحركة الإسلامـية هى أمتداد لمجمل النضال الوطنى، الذى هو بالضرورة اسلاميـا، بمعنى أنها إمتداد للنضال المعاصـر ضد الاستعمار، أمتداد لعبد القـادر الجزائرى وعبد الكريم الخطابـى وعمر المختار والأفغانى والنـديم ومصطفى كامل ومـحمد فريـد وعز الدين الـقسام وغيرهـم من زعماء الجـهاد والكفـاح الإسلامى المعاصر،وبدأنا بالطـبع نهتم بدراسة هؤلاء وبدراسة وتتبع يومـيات ومراحل هذا الكفاح الشعـبى الذى لم ينقـطع من أجل النـهضة ومواجهـة التحديات ، واهتـم الشهيد فـتحى الشـقاقى بـصورة خـاصة بعـز الدين الـقسـام على أسـاس أنه من أكـبر حـلقات الجـهاد الإسلامى ضد الاسـتعمار الصهـيونى والأب الروحى لكـل حركة تريد أن تفـعل نفس الشئ.

وكان هـناك أيضـا مد متصـاعد لما يـسمى الآن حـركة (الجهاد الإسـلامى فى مـصر) وكذلك (الجمـاعة الإسلامية)، وبرغم كـل الرجولة والصلابة والـراديكالية التى تميز بها هؤلاء، إلا أن عيبا منهجيا خطيراً كان من سماتـهم الرئيسية ألا وهو التعامل مع النصوص بشكل مجرد ومنعزل عن بعضه بعضا، وليس بحسبانها منهجا متكاملا يقدم رؤية، وكذا تحملها بقدر هائل من السلفية يحول دون ادراكـها للواقع المتغير فضلا عن ضعف الوعى السياسى لدى كوادرها.

كان الدكتور فتـحى الشقاقى يحلم بحركـة إسلامية معاصرة ، تتجاوز فـكريا وحركيا

كل هذه الأخطاء، حركة ترى نفسها مجرد حلقة من حلقات الكفاح الإسلامى سبقتها حلقات وتتبعها حلقات، حلقة تكون طليعة للأمة وخميرة للنهضة وليست بديلاً عن الأمة، حركة تجعل التنظيم أداة وليس غاية، حركة تنطلق من إعتبار القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية، حركة تنفتح على الجميع انطلاقاً من ثوابتها فلا تعزل نفسها ولاتنفصم عن جذورها الفكرية والعقائدية فى نفس الوقت.

وعلى الجانب الآخر، وإنطلاقا من أن القضية الفلسطينية قضية مركزية للأمة الإسلامية كان لابد من دراسة هذه القضية بكل أبعادها التاريخية والعقائدية وتشابكاتها المحلية والدولية. وأدركنا بالدراسة والمثابرة والمناقشة:

- إن إسرائيل هى جزء من مشروع الهيمنة الغربية [١]، وأنها آخر مراحل الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ذلك الصراع الذى يمتد فى الزمان والمكان أفقيا ورأسيا، أى أن الصراع صراع حضارى، وأنه على أرض فلسطين يتحدد مصيرأمتنا وحضارتنا فإما أن ننتصر وإما أن يتحقق الهدف الغربى والإسرائيلى فى القضاء على الحضارة الإسلامية.

- إنه ليس فقط يتحدد مصير حضارتنا على أرض فلسطين، بل مصير العالم بأسره، وذلك أن مشروع الهيمنةالغربى على العالم يتسبب بالطبع فى شقاء معظم سكان العالم وتحويلهم إلى خدم فى خلفية بيت السيد الغربى، وبالتالى فإن على الحركة الإسلامية أن تعتبر نفسها طليعة لكل المستضعفين فى العالم وقيادتهم فى معركة ضد آلة النهب والقهرالغربى، وأن الإسلام ينبغى أن يكون بالإضافة إلى أنه دين جزء هام من العالم، فهو أيديولوجية [٢] كل الفقراء والمستضعفين من مختلف الأجناس والحضارت.

- إنه مادام الصراع صراعا حضاريا، أى صراع وجود وليس حدود فإن المفاوضات[٣] والحلول الوسط وما يسمى بالسلام هى مجرد أوهام وفخ لاستدراج القوى المناضلة إلى مستنقع الخيانة ، وأن إسرائيل بكاملها كيان غير شرعى، وأنه لاحل

هنـاك سوى الايديولـوجية الإسلامـية وحرب الـتحرير الـشعبـية لتحـرير كامل الـتراب الفلسطيني ، وأنه ينبغي أن يشارك في ذلك الـصراع كل فلسطيني وكل عربي وكل مسلم وكل مستضعف.

ـ إن طبيعة الصراع، وطبيعة تركيب المجتمـع الإسرائيلي، وطبيعة المواجهة مع الغرب تستدعي إسلامية[٤] الصراع بالضرورة، ويستدعي تلك الإسـلامية أيضا أن جماهير أمتنا لا تتحرك الآن خلال وجدانها الديني.

ـ إنه كان من الطبـيعي أن تتساقط القوى المختـلفة في مستنقع التـفاوض وأنه لايعصم من هذا المستنقع إلا ثلاثة شروط هي: الاسلامية والجـماهيرية والكفاح المسلح، وأن افتقاد أي من هذه الشروط الثلاثة يؤدي إلى عدم القدرة عـلى الاستمرار في المواجهة والسقوط بالتالي عند المنحنيات الصعبة في مراحل الصراع[٥]

ـ إن الكيان الصهيوني، مجرد وكيل دولـي للاستعمار، وأن الحديث عن الوعد الالهي لبني إسـرائيل حديث مغلـوط، لأن يهود إسرائيل أولاً لـيسوا هم أبناء اليـهود الأوائل من ناحية [٦] ، وحتى لو فرض أنهـم أبناؤهم فقد فقدوا أهليـتهم بسبب عصيانهـم التاريخي المستمر لأنبيائهم وأنه بعد الإسلام بالـذات فإن الأمة الإسلامية هي الأمة الرسالية ونحن أولى من الـيهود بإبراهـيم وإسحق ويعـقوب ويوسف ومـوسى ويوشع وداود وسلـيمان وزكريـا ويحـيى وعيـسى بـن مريم، وأن هؤلاء قـد بايـعو الـرسول أثنـاء رحلـة الاسراء والمعراج عندما أمهم عليه السـلام في بيت المقدس ليلة الأسراء والمعراج[٧] . وأن الموقف الديني الصحيح هو تنحي اليهود عن يهوديتهم ودخولهم في الإسلام، وأن موسى ويوشع وداود وسليمان وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل لو بعثوا اليوم ما كان بوسعهم إلا الدخول في الاسلام، باعـتباره هو الدين الحـنيف الذي جاء إبراهـيم به أصلا من عنـد الله والذي كان عـليـه إسحق ويـعقـوب ويوسـف والذي جاء مـحمـد ليكـون خاتم الأنـبيـاء وجاء المسلمون ليكونوا ورثة كل وعد الهي.

وأنه من منطلقات دينية فأننا ننحاز نفسيا وتاريخيا إلى إبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وموسى ويوشع بن نون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى صد المشركين فى ذلك الوقت، ولكننا نعتبر أنفسنا ـ وليس الصهاينة ـ ورثة هؤلاء الأنبياء .

ـ إنه ينبغى لكى نحقق مشروعنا فى تحرير فلسطين، بل وتحرير كل مستضعفى العالم أن نفرق بين الإسلام الرسالى وبين الإسلام القبلى أو العشائرى أو غير الرسالى عموما، فالإسلام الرسالى يهتم بالعقيدة والفقه ويهتم أيضا بنفس القدر بالتطور التاريخى للصراع الإسلامى مع القوى الاستكبارية ، ويدرك دوره كطليعة مؤمنة فى تلك اللحظة من عمر الأمة ويدرك مهمات الأمة ورسالتهاتجاه العالم بأسره فى أى لحظة من لحظات التاريخ، وأن الإسلام الرسالى لايتصرف كبديل عن الأمة ولكن كطليعة لها، وأنه يمتلك منهجا يتعامل به مع القرآن والسنة والواقع ، ولا يتعامل معها كمجموعة النصوص المتفرقة والمنعزلة عن الواقع، وأن الإسلام الرسالى يعرف ويدرك أن الصراع فى تلك المرحلة ليس إلاحلقة من سلسلة الصراع الطويل بين القوى الاسلامية الربانية والقوى الاستكبارية، غير مقطوعة الصلة بما قبلها ولاما بعدها وبالتالى فهو يمتلك تفاؤل التاريخ وحيوية المستقبل، وأن الإسلام الرسالى ذو توجه جماهيرى ورسالة نحو المستضعفين وبالتالى يعرف أن حليفه الطبيعى هو الجماهير المطحونة والكادحة، وأن واجبه تجاه الله تعالى يقتضى الوقوف بحزم ضد كل أشكال الاستبداد السياسى والظلم الطبقى، ويقف مع حق الجماهير فى الحرية والعدالة والحياة الكريمة، ويقف مع كل المستضعفين فى الأرض، وأن الإسلام الرسالى يدرك أن سلاحه الوحيد ـ حاليا ـ هو الجماهير الواعية ولذلك فهو يثق فيها ثقة مطلقة ولايتآمر عليها أو يخون قضاياها الحياتية والحضارية والقيمية وأنه يتحرك بنفسية المنتصر حتى فى أحلك الظروف، الإسلام الرسالى هو التقوى والعقيدة الصحيحة وهو التصدى للاستعمار والصهيونية والاستغلال والنهب والاستبداد، الاسلام الرسالى هو عز الدين القسام وفتحى الشقاقى، الإسلام الرسالى وفق المنظور السابق طويل النفس بلا حدود لأن عمقه الجماهير وليس التنظيم،

ولايسقط قط فى المســاومة والحلـول الوسط، وهو شـاهـد علــى الأمـة وعلى العـالم ويمتلك حيوية مذهلة.

كان فتـحى الشقـافى يعمل لإنجـاز هذا المشروع الـفكرى والحركى، كـان يقضى لـيله ونهاره فى العبادة أو الـنضال السياسى، أو الدراسة أو الكتابة. وشاء الـله أن يقيض له فى ذلك الـوقت (مجلـة المختار الإسـلامى) التى ظـهرت فى تـلك الآونة، وعلـى مدى ٢٧ شهراً أى سبعـة وعشرين عدداً من تلك المجلـة نجح فتحى الشقاقى وعـدد من زملائه فى إثراء تجربتـه الفكرية والتبـشير بمفاهيمه المـنهجية من خلال تـلك المجلة، وكان ينشـر فيها أبحاثه ودراساته تحـت اسم عز الدين الفارس، وكانت تلك الأبـحاث والدراسات تقوم على منهج متماسك وعلى لغـة مميزة، هى قطعة من أروع أنواع الأدب الجميل، ودون أن تفقد مضمونها الفكرى، ولعل هذه كانت إحدى مميزات فتحى الشقاقى الذى كان يكتب لغة شعرية وأطروحة فكرية فى نفس الوقت، وتـلك إحدى ملامح عبقريته التى ساهمت فى نجاح تجربته ومشروعه الفكرى والحركى

* * *

وأذكر الآن أن هذا المعـسكر كان بمثابـة المؤتمرالتأسيسى لحركة الجهاد الإسـلامى فى فلـسطين قد تم مـن خلال معـسكر فكـرى و دراسى وتشـقيفـى تم على أرض الزقـازيق الطاهرة، فى عدد من مسـاكن الطلاب الفلسطينين بجامعة الزقـازيق، وقد حضره الرعيل الأول من الفلسطينـيين الذين كانوا عماد هذه الحركة وكان فى مقـدمتهم د. رمضان عبد الله الأمين العام الحالـى لحركة الجهاد وكان مسئولاً عن هذا المعـسكر... وكان هناك عدد من المصريين أيضا، وكنت أنا أحدهم بالطبع، وكان هذا تقريبا فى نهاية عام ١٩٨٠، ويعد هذا المعسكر هو الباكورة الأولى لحركة الجهاد الفلسطينى.

* * *

تسـارعت الأحـداث فيمـا بعد، وحـدثت إعـتقالات ٥ سـبتمـبر ١٩٨١، ولأن الـهم

الإسلامي واحد، فقد فكرنا مع فتحي الشقاقي في عمل نوع من النضال السياسي المدني ضد تلك الاجراءات، واقترح البعض المشاركة في اعتصام داخل الجامع الأزهر بالتنسيق مع مختلف القوى الإسلامية ، وتم الاتصال بجماعة الاخوان المسلمين فرفضت كعادتها وقالت أنها سوف تتصرف بمفردها وفقا لأولوياتها ولم تفعل شيئا بالطبع، وكذلك تم الاتصال بعدد من الجماعات الإسلامية وحركة الجهاد الإسلامي المصري، وكان أسامة حميد هو حلقة الاتصال، فأخبروه أنهم يفكرون في عمل أكبر من هذا بكثير، ولم نكن ندري ماذا يقصدون بذلك إلى أن حدثت عملية إغتيال السادات وأحداث أسيوط في أكتوبر عام ١٩٨١[٨]، وعلى أثرها تم القبض على عدد كبير من العناصر الإسلامية وكان منها أسامة حميد الذي تم توجيه الاتهام له ضمن قرار اتهام قيادات جماعة الجهاد التي ضمت أكثر من ٣٠٠ متهم كان ترتيب أسامة بينهم ٢٧٣، وكذلك تم إعتقال على مجاهد، وأيمن عبد الستار وتم فيما بعد إعتقال عدد من الفلسطينيين، كما تمت مداهمة بيوت كل من خالد عبد العظيم وأسامة الشافعي إلا أنهما نجحا في الهرب، وقد نجح أيضا الدكتور فتحي الشقاقي في الخروج من مصر في آخر اكتوبر عام ١٩٨١ قبل قليل من اصدار قرار بإعتقاله وعدد آخر من الفلسطينين فيما عرف وقتها بقضية (الطلائع الأولى)، وأذكر أنني كنت آخر المصريين الذي رأوا فتحي الشقاقي قبيل رحيله من مصر في ذلك الوقت وكنت قد كونت رأيا في ذلك الوقت لم يوافقني بالكامل عليه، وهو أنه مع كل التقديرلما قام به هؤلاء الذين اغتالوا السادات، فإن مصر لا ينفع فيها العنف، بل النضال السياسي باعتبار النضال السياسي حلقة وسط بين العنف وبين منهج التربية الأخواني المعروف ، وأن من الحساب السياسي الاستراتيجي ألا تتورط حركة الجهاد الفلسطيني ـ وبعد اليوم ـ في علاقات مع الحركة الإسلامية في مصر ما دامت دخلت في صدام عنيف ودموي مع النظام، لأن من المفروض أصلا أن نوجه بنادقنا إلى عدو واحد فقط هو إسرائيل، أوحتى ضد المصالح الأمريكية، وأنه ما دامت الحركة الإسلامية في مصر لم تعرف أولوياتها، وانه كان عليها أن توجه عملها العسكري ضد إسرائيل أو حتى

أمريكا، وبصرف النظر عن مشروعية الصراع مع الحكومة والشرطة المصرية. فإنه فى كل الأحوال فإن على حركة الجهاد الإسلامى الفلسطينى أن تؤكد على ضرورة التوجه ضد إسرائيل دون التورط فى صدامات مع الأنظمة العربية على قدر الامكان تحقيقا لروحها ومنهجها أولاً، وتفاديا لثمن باهظ يمكن أن تدفعه بلا ضرورة ثانيا.

وظل هذا موقفى دائما، رغم اعتراضات عدد من الأخوة المصريين والفلسطينين على ذلك، ويعلم الله أن فتحى الشقاقى بنفسه قال لى فى عام ١٩٩٣ على أرض ليبيا عندما التقيت لأول مرة به بعد خروجه من مصر وآخر مرة أيضا ـ وكانت هذه هى المقابلة الوحيدة لنا بعد خروجه من مصر إلى أن اغتالته إسرائيل فيما بعد فى مالطة سنة ١٩٩٥ـ قال إن موقفى كان صحيحاً، وأن ماحدث كان يرجع إلى قلة الخبرة!!. وأنه الآن يرى أن العنف الذى تمارسه الحركة الإسلامية فى مصر أصبح بلا مبرر وكذا إقامة علاقة بين الجهاد الفلسطينى وحركات العنف فى مصر مع وجود هذه الظروف يضر حركة الجهاد الفلسطينى ، وأنه يجب توجيه كل البنادق إلى إسرائيل، وإسرائيل فقط.

***

وبالطبع فى الفترة من ١٩٨١ـ حتى عام ١٩٨٣ كانت كلهما مطاردات أمنية لى ولغيرى وكنت فى تلك الفترة قد أنجزت بعض الدراسات حول القضية الفلسطينية نشرت بعضها فى مجلة (الطليعة الاسلامية) التى كانت تصدر فى لندن، وهى دراسات مثل: «قراءة فى حرب صيف عام ١٩٨٢»، على حلقتين فى أعداد يونيه ويوليو سنة ١٩٨٣، ثم دراسة حول (تاريخ فلسطين الحديث) فى عدد لاحق فى نفس المجلة[٩] «الطليعة الإسلامية» وكنت قد اعتقلت فى ذلك الوقت مع عدد من المصريين والفلسطينين بتهمة مناهضة إسرائيل ودعم حركة الجهاد الفلسطينى وتشكيل تنظيم يستهدف القضاء على إسرائيل والسعى لتنفيذ عمليات ضد الكيان الصهيونى انطلاقا من الحدود المصرية... وكان من المعتقلين معى فى هذه القضية خالد عبد العظيم، ومحمود يوسف سليمان فضلاً عن آخرين كانوا لايزالون فى السجون وتم التحقيق معهم فى نفس

القضية مثل أسامة حميد وعلى مجاهد، وكان معنا عدد من الأخوة الفلسطيين أيضا منهم الدكتور جميل يوسف عليان مثلاً، كما تم التحقيق مع الأستاذة صافى ناز كاظم بنفس التهم إلا أن حجمها الثقافى أدى إلى الافراج عنها فور التحقيق، والحقيقة أن التهم كان فيها مبالغة كبيرة، فإن العمل الوطنى الوحيد الذى قمت به هو تهريب مكتبة الدكتور فتحى الشقاقى الذى كان تركها بشقته بالزقازيق وقد قمت شخصيا بقيادة سيارة نصف نقل تم استئجارها لهذا الغرض وحملنا فيها أمهات الكتب التى كانت فى مكتبة الدكتور فتحى الشقاقى وسرت بها وكان معى زميلين فلسطينيين أحدهما اسمه نوفل والآخر لم أعد أذكر اسمه الآن، وقطعنا سيناء بالكامل حتى رفح المصرية، وتم إنزال الكتب لدى بعض الاسر الفلسطينية هناك والذين كانوا يستعدون لدخول رفح الفلسطينية فى إطار لم شمل الأسر الفلسطينية وفقا لاتفاقية كامب ديفيد، وتم حمل الكتب معهم فيما بعد عندما تم رحيلهم إلى رفح الفلسطينية وبذلك وصلت كتب الدكتور فتحى الدراسية والفكرية إلى الأرض المحتلة

وبعد أن تم الافراج عنا فى أوائل عام ١٩٨٤ كررت التأكيد على موقفى بخطأ وجود إتصال بين حركة الجهاد الفلسطينى والحركة الإسلامية فى مصر على خلفية أن الصدام الذى تقوم به الحركة فى مصر وكذا العنف الذى تتجه إليه سيجر حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين إلى معارك لا طائل من ورائها، ويضر باستراتيجيتها ومواقفها الفكرية والحركية، وظل هذا موقفى دائما على عكس بعض الأخوة المصريين والفلسطينيين الذين صمموا على السعى فى نفس الطريق الوعرة والمكشوفة طبعا بعد أن عرفت أجهزة الأمن كل شئ عن هذه الاتصالات من خلال تحقيقات ١٩٨١و١٩٨٣، وتم اعتقال عدد كبير آخر فى عام١٩٨٧ بنفس التهم ولنفس السبب، وكنت أيضا من ضمنهم رغم موقفى السابق، وكانت هناك أشياء لا أدرى عنها شيئا، وكان التعذيب هذه المرة بشعاً، وانتهت التجربة بعد أن قرر الدكتور خالد عبد العظيم وآخرين اعتزال العمل السياسى برمته بعد أن تعرضوا لتعذيب أقل ما يقال فيه أنه كان «تعذيبا وحشياً».

ومن الجدير بالذكر أن نسجل هنا أنه فى قضية الطلائع عام ١٩٨٧، تكررت نفس

التهم وهى مناهضة دول صديقة «إسرائيل» ودعم حركة الجهاد الإسلامى، والتخطيط لعمليات عسكرية ضد إسرائيل انطلاقا من الحدود المصرية، وأنه تم التحقيق فى هذه القضية أيضا مع كل من الحاج حسين عاشور صاحب مجلة (المختار الإسلامى) والدكتور محمد يحيى أحد أهم كتاب المجلة نفسها، وكذلك مع الأستاذة صافى ناز كاظم الكاتبة الإسلامية المعروفة والدكتور إبراهيم الدسوقى شتا أستاذ اللغات الشرقية بجامعة القاهرة.

***

وبنهاية رحلة الاعتقال عام ١٩٨٧ وبعد الافراج عنى فى عام ١٩٨٨ انقطعت تقريبا كل صلة مع الدكتور فتحى الشقاقى ، اللهم إلا متابعة أعماله الفكرية فى المجلات والصحف ومتابعة أخبار حركته المباركة بالطريقة نفسها، وإن كنت قد ظللت مرابطا على ثغر الفكر والصحافة (١٠) دفاعاعن القضية الفلسطينية واثراء للفكر نفسه والمشروع نفسه الذى يقدمه فتحى الشقاقى وأخوانه إلى أن دهمتنا أخبار اغتياله على يد الموساد فى مالطا فى ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥.

هوامش

(١) لا شك أن الفكرة الصهيونية فكرة أستعمارية أصلاً قبل أن تكون فكرة يهودية، وهى فكرة تقوم على استخدام اليهود كمرتزقة وجماعة عسكرية لتحقيق المصالح الاستعمارية فى المنطقة فى إطار الصراع الغربى الإسلامى، بين الحضارة الغربية والحضاة الإسلامية، والفكرة قديمة فى الفكر الاستعمارى قبل أن يفكر فيها تيودور هرتزل، فهناك على سبيل المثال لاالحصر، نداء نابليون بونابرت إلى يهود العالم من أجل إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة سنة١٧٩٩م وهناك دعوة الرئيس الأمريكى جون آدامز، إلى استعادة اليهود فلسطين عام ١٨١٨م، وهناك مذكرة سكرتير البحرية الانجليزية إلى وزير الخارجية بالمرستون التى يقترح فيها دعوة أوروبا إلى إعادة اليهود إلى فلسطين عام ١٨٣٩م، وهناك برنامج اللورد سافتسبرى إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود فى فلسطين سنة ١٨٤٠م، وهناك مشروع إدوارد متنورد لإقامة دولة يهودية متكاملة فى فلسطين تحت الحماية الانجليزية المؤقتة إلى أن تتمكن هذه الدولة من الوقوف على قدميها سنة١٨٤٥م، وهناك كتاب أرنست لاهان المستشار الخاص لنابليون الثالث فى المسألة الشرقية، إعادة بناء الأمة اليهودية ١٨٦٠، وصدور كتاب «أرض جلفاد» للورنس أوليفنت عضو البرلمان الانجليزى ووزير الخارجية والذى يقترح إقامة مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف المليون فدان فى الأردن وفلسطين عام ١٨٨٠، وتأسيس بلاكستون فى شيكاغو لمنظمة البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل. من أجل حث اليهود على الهجرة إلى فلسطين عام ١٨٨٧، ومذكرة بلاكستون إلى الرئيس الأمريكى بنيامين هاريسون ووزير خارجيته جيمس لين العمل على تخفيف معاناة الشعب اليهودى بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين سنة ١٨٩١،وصدر كتاب الدبلوماسى الانجليزى وليمر هشلر فى «إعادة اليهود إلى فلسطين» سنة ١٨٩٤،كل هذا قبل صدور كتاب تيودور هرتزل « الدولة اليهودية» الذى صدر عام ١٨٩٦.

وفى هذا الصدد أيضا يقول جمال حمدان فى كتابه (استراتيجية الاستعمار والتحرير) ص ١٦٨ «التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخيا على طريق واحد هو المصلحة الاستعمارية المتبادلة فيكون الوطن اليهودى قاعدة تابعة وحليفا مضمونا أبدا يخدم مصالح الاستعمار وذلك ثمنا لخلقه اياه وضمانه (لبقائه). ويقول أيضا فى نفس الكتاب ص١٧٦ «الأستعمار هو الذى خلق إسرائيل بالسياسية والحرب وهو الذى يمدها بكل وسائل الحياة من أسلحة وأموال وهو الذى يضمن بقاءها ويحميها علنا».

ويؤكد روجيه جارودى على هذه الحقيقة أيضا قائلا «أن الاب الروحى للصهيونية تيودور هرتزل أشعل الرغبة الأستعمارية فى خلق إسرائيل وقدم لها مبررات إقامة هذه الدولة على أساس أنه إذا قامت إحدى الدول الأستعمارية بحماية هذه الدولة اليهودية، فستتمتع بميزة على جميع خصومها لأن هذه الدولة ستعتبر رأس حربة مغروسة فى المنطقة من أجل تغلغل إستعمارى، وكتب هرتزل فى عام ١٨٩٥ فى كتابة، الدولة اليهودية قائلا «ستكون هذه الدولة بالنسبة إلى أوروبا متراسا ضد آسيا وستكون بمثابة الحصن المتقدم

للحضارة ضد البربرية وفى محاضرة روجيه جارودى فى ١٣/ ١٠/ ١٩٩٦ فندق الماريوت - القاهرة قال إن إسرائيل ستلعب دوراً هاماً فى المواجهة الحضارية بين العـالم الغربى والإسلامى نظرلموقعها الإستراتيجى فى قلب العالم الإسلامى

(٢) راجع فيهذا الصـدد. د. محمد مورو: الإسلام أيديولوجيـة الفقراء: مقدمة فى لاهوت التـحرير الإسـلامى. مجلة المختار الإسلامى العدد١٤٢، جمادى الآخرة ١٤١٥ - نوفمبر ١٩٩٤.

(٣) راجع فى هذا الـصدد - د. محمد مورو - كـتاب «التحدى الاستـعمارى الصهيـونى - وجهة نظر إسـلامية باب« نهج المفاوضات - نهج خيانة نهج تردد» دار الفتى المسلم - القاهرة ١٩٨٤

(٤) راجع نفس المرجع السابق باب «منهج لفهم الصراع»

(٥) نفس المرجع السابق باب نهج خيانة - نهج تردد

(٦) راجع جمال حمدان كتاب «اليهود» كتاب الهلال فبراير ١٩٩٦ - القاهرة.

(٧) راجع كتب السيرة فى هذا الصدد

(٨) راجع د. محمد مـورو - تنظيم الجهاد الايديـولوجية والجذور - العربية الـدولية للنشر والتـوزيع - القاهرة - ١٩٩٠.

(٩) نقل لى البعض أن الدكتور فـتحى الشقاقـى قال معلقا علـى هذه الدراسات أنها تـقدم منهجا فـذا فى فهم الصراع.

(١٠) قدمت فى تلك الفترة مئات المقالات الصحفية والـدراسات فى المختار الإسلامى - العالم اللندنية، العرب اللنـدنية، اليومـية، الشعب المصـرية وغيرها دفـاعا عن القضـية الفلسـطينية وإثراء لمشروع الدكتور فـتحى الفكرى وكذلك عدد من الـكتب مثل «سليمان خاطر»، « اعدام كاهانـا» «أيمن حسن» «حماس والجهاد». (الجهاد فـى سبيل الله: حـزب الله نموذجا) فضـلا عن كتابى التـحدى الأستعمارى الـصهيونى وجهـة نظر إسلامية - ١٩٨٤، «والقضية الفلسطينة من عبد الناصر إلى السادات» ١٩٨٥

محطات فى حياة
الشهيد فتحى الشقاقى

- فتحى إبراهيم عبد العزيز الشقاقى

- ترجع أصوله العائلية إلى قرية زرنوقة القريبة من يافا بفلسطين المحتلة، والتى هاجرت منها أسرته إلى مدينة رفح بعد احتلال الجزء الأول من فلسطين عام ١٩٤٨

- ولد الشهيد فى مدينة رفح بقطاع غزة عام ١٩٥١

- درس العلوم والرياضيات فى جامعة بير زيت وعمل مدرسا فى القدس، ثم درس الطب فى مصر بكلية الطب جامعة الزقازيق وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة عام ١٩٨١ وعمل طبيبا فى القدس أيضا

- انخرط فى العمل السياسى والنضال منذ وقت مبكر وشارك فى نشاطات تنظيمية منذ منتصف الستينات.

- التحق عام ١٩٦٨ بالحركة الإسلامية فى فلسطين

- أسس مع عدد من اخوانه حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين فى نهاية السبعينات

- اعتقل عدة مرات منها فى مصر عام ١٩٧٩ بسبب تأليفه كتابا عن الثورة الإسلامية فى ايران، ثم فى فلسطين المحتلة عام ١٩٨٣، ثم عام ١٩٨٦ ثم أبعد عن فلسطين المحتلة عام ١٩٨٨ إلى لبنان بعد اندلاع الانتفاضة المباركة فى فلسطين عام ١٩٨٧.

- تنقل منذ ذلك الوقت فى بعض العواصم العربية والإسلامية لمواصلة طريق الجهادضد العدو الصهيونى

- متزوج وله ثلاثة أطفال هم إبراهيم وخولة وأسامة

- أغتالته أجهزة الموساد الصهيونية فى مالطا يوم الخميس ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥ وهو فى طريق عودته من ليبيا، بعد جهود قام بها لدى القيادة الليبية بخصوص الأوضاع المأساوية للشعب الفلسطينى.

(١)

القضية الفلسطينية قضية مركزية

الشقاقى يعدل الهرم المقلوب



تحتل القضية الفلسطينية مساحة هامة فى المشروع الحضارى الإسلامى، ويمكننا أن نقول: إن إعتبار القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية أمر يدخل فى صميم المشروع الحضارى الإسلامى

وهذا الأمر يرجع بالطبع إلى أسباب تاريخية ومستقبلية فى نفس الوقت، فمسيرة الإسلام الحضارية دخلت فى الكثير من التحديات والصراعات ونجحت فى عهد الرسول ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين فى حسم الصراع لصالحها ضد الكثير من القوى الاستكبارية، ولم يصمد أمام الزحف الإسلامى إلا الحضارة الغربية، ودخل الإسلام مع تلك الحضار الغربية صراعا مريرا بدءا من عهد الرسول وحتى اليوم، وأستطاعت أمة الإسلام أن تحقق النصر فى الكثير من المواقع والغزوات على الحضارة الغربية، ولم تكن الحروب الصليبية فى الشرق العربى إلا إحدى المحطات فى هذا الصراع الذى أستمر فى الزمان والمكان وبمساحة واسعة فى شمال أفريقيا والمغرب العربى وفى الشام وأوروبا ذاتها أيام مجد الخلافة العثمانية وفى البحر المتوسط كراوفرا، ونحن الآن ومنذ قرنين من الزمان تقريبا نتعرض لضغط وهزيمة أمام الحضارة الغربية، والتى استخدمت فى نهاية المطاف اليهود كأداة لتحقيق الحلم الأوربى بالقضاء على الحضارة الإسلامية.

وهكذا فإن إسرائيل تمثل رأس الرمح الغربى ضدنا ويشكل التحدى اليهودى الغربى أحد أهم معطيات التاريخ المعاصر، فالغرب استخدم اليهود عندنا للتخلص منهم من ناحية، وللكيد لنا من ناحية أخرى واليهود استغلوا الوجدان الغربى الصليبى والمخططات الغربية المتآمرة ضدنا لتحقيق هدفهم فى إحتلال فلسطين وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات فيما بعد.

ومن ناحية أخرى فإن فلسطين أرض مباركة، وفيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهى فى القلب من العالم الإسلامى، والضربة التى تكون فى القلب تمس الكيان كله.

ولهـذه الأسباب فإن الـصراع علـى أرض فلسطـين يمثل المسـألة الأهـم فـي مستقـبل الحضارة الإسلامية، فعلى أرض فلسطين يتحدد مصير الأمة الإسلامية فإما النصر وبداية الصعود الإسلامى الثانى وإما الإبادة والنهاية لحضارتنا لاقدر الله.

وهكذا فإن إعتبار القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية يشكل رقما هاما في المشروع الحضارى الإسلامى

❊ ❊ ❊

والقضية الـفلسطينية بالـنسبة للشقاقى هى الـقلب والعقل معا، فكـرا وحركة وجهاداً وتنظيـماً، والقضية الفـلسطينية بـالنسبة لتيـار الشقاقى قضيـة مركزية للحركـة الإسلامية وللأمـة الإسلامية، وقـد قدم الشقـاقى اسهامـا فكريـا نظريا رائـعا لتأصـيل هذه المعـركة ووضعهـا على محـك التطبـيق العمـلى والشعـار السياسـى وبناء التـحالفات الـتكتيـكية والإستراتيجـية بل وكذا موقفه النقـدى من الحركات الإسلامية ومن الإسلامـيين عموما ومن كل القوى والدول والحركات.

يرصد الـشقاقى مـواقف الإسلاميين حـول القضيـة الفلسـطينية فى ملف له بـعنوان القـضية الـفلسـطينـية هى الـقضيـة المركزيـة للحـركة فى الـعدد ١٣ من مجلة المخـتار الإسلامى، يولـيو ١٩٨٠ قائلا «تفاوتت» مـواقف الإسلاميين من القضـية الفلسطينية إلى درجة تثير الدهشة، فمـنهم من يتجاهلها وكأنها قضية سياسـية ـ لاتتجاوز قضية الخلاف بين عمـان ورأس الخيمة ويـتصورون ـ وكطـريقتهـم المعتادة فـى التصور ـ أن قيام دولة إسلامية فـي المنطقة سينـهى المشكلة تمامـا وسيحـسم الصراع الـطويل ويعيد فلسطين إلى أهلها خلال سـاعات ولو سأل هؤلاء عن الدولة الإسلامـية التى يريدونها لا تسـمع منهم إلا قولا واحـدا إن ذلك ليس مـن شأننا الـتفكيـر فيه والتـخطيط لـه، علينـا نحن العـمل والعـمل فقـط، وهؤلاء للأسـف يجهـلون مرحـلتـهم ويجـهلون أدواتـهم، ذلك لأنـهم يجهلون جـوهر الصراع الدائر على أرض الوطـن الإسلامي الآن، قبل جهلهم بـالقضية الفـلسطيـنية ومـوقعها مـن المرحلـة ومن دائرة الصـراع، ومن الإسلامـيين من يتـصدى

للقضية الفلسطينية ويقترب منها ومن دوامة الصراع السياسى حولها مقدما موقفه كتعبير عن الموقف الإسلامى ـ كما يظن ـ ومراوحا فى ذلك بين التنازل السياسى فى التحليل والرؤية إلى جزيئات استطاعت الدول الكبرى أن تقدمها لنا وكأنها هى كليات القضية، وبين الموقف اللاتحليلى والعاطفى الذى يرى أن فلسطين هى أرض المقدسات الإسلامية وأن الأيدي الإسلامية المتوضئة هى التى ستحررها وكفى الله المؤمنين شر الدراسة والوعى والتحليل، والحقيقة أن تلك المواقف جميعها التى بنيت على فهم سطحى أو على عدم فهم أصلا لمهام الحركة الإسلامية المعاصرة ولأصول القضية الفلسطينية هى مواقف غير أصليةفى تراث الحركة الإسلامية فعندما تقدم حسن البنا رحمة الله إلى فلسطين ليضع على أرضها قواعد إخوانية جديدة وعندما قدم الإسلاميون خيرة شبابهم شهداء على أرض فلسطين بين ٤٧ـ١٩٤٨ كانوا فى الحقيقة يكرسون شعلة الوعى المضيئة للقضية الفلسطينية كقضية مركزية للحركة الإسلامية.. تلك الشعلة التى تقدم الشيخ المجاهد عز الدين القسام فى منتصف الثلاثينات في أول محاولة لاضاءتها»

وبتحليل مضمون ذلك التحليل النقدى للدكتور الشقاقى نجده يقدم أولا رؤية نقدية لمواقف الحركة الإسلامية من القضية الفلسطينية فهى مواقف لا تلبى طبيعة التحدى ولا تستجيب لخطورة القضية ومركزيتها وهو هنا لا ينقد فقط مواقف الإسلاميين تجاه القضية الفلسطينية ولكن أيضا يضرب بفأس نقدى نورانى فى أمراض وعيوب الحركة الإسلامية المعاصرة فهناك غياب للدراسة والوعى والتحليل، واكتفاء بمفاهيم عمومية ومواقف لاتدخل فى صميم المشكلة بحثا ودراسة وجهادا، وهناك فهم سطحى أو عدم فهم أصلا ويرجع الدكتور فتحى عدم الفهم هذا أو الفهم السطحى، إلى عدم فهم الإسلاميين أصلا لمهام الحركة الإسلاميةالمعاصرة ولأصول القضية الفلسطينية أو نحن بدورنا نؤكد على ما قاله الدكتور فتحى الشقاقى فأين الوعى والتحليل والدراسة التى قدمها الإسلاميون خارج تيار الشقاقى الفكرى والحركى، لطبيعة الصراع، وطبيعة تركيب العدو الصهيونى، ودراسة إسرائيل كجزء من مشروع الهيمنة الغربية أو وضع المشكلة فى سياقها التاريخى والحضارى بإعتبارها جزءا من الصراع الطويل الممتد فى الزمان والمكان

بين الحضارة الإسلامية التى تمثل الحق والعدل والحرية والحضارة الغربية التى تمثل القهر والوثنية والنهب والعنصرية.... بل أين هى الدراسات والتحليلات التى تحل إشكاليات الواقع المعاصر؟، بل أين هى الدراسات والتحليلات التى تعرف الحركة الإسلامية بإعتبارها حركة تحرر وطنى تستند إلى الأصول الإسلامية، وليست مجرد فرقة دينية أو سياسية قديمة أو حديثة؟، إن الحركة الإسلامية المعاصرة لم تجب على سؤال: من نحن؟ وماذاتريد؟ فهل كان من الممكن أن تجيب على أسئلة وإشكاليات صراع معقد ومتشابك مثل الصراع مع الكيان الصهيونى ومشروع الهيمنة الغربى برمته.

ويسخر الدكتور فتحى الشقاقي من نمط التفكير السائد لدى الإسلاميين محددا أحد أسباب عدم إنتصار هذا التيار حتى الآن رغم كل الظروف الموضوعية التى تعمل لصالحه.. فهم يتصورون كطريقتهم المعتادة فى التصور، المصابة بالتعالى وسوء الفهم وأحياناً الجهل أن قيام دولة إسلامية فى المنطقة سينهى المشكلة تماماً وسيحسم الصراع الطويل ويعيد فلسطين لأهلها خلال ساعات وهم هنا أولا لا يقدمون حتى تصوراتهم عن تلك الدولة الإسلامية المنشودة، ما شكلها؟ ما طبيعتها؟، ما أولوياتها؟، ما برامجها؟، ومواقفها وتحدياتها، وكأننا نعيش فى كوكب آخر منعزلين عن الصراعات العالمية ومنبتى الصلة مع التاريخ والجغرافيا، ويهربون من الإجابة بقولهم: إن ذلك ليس من شأننا التفكير فيه أو التخطيط له علينا العمل والعمل فقط، وهل يمكن العمل بدون خطة استراتيجية وتكتيكية؟ وهل نحن نعمل فى فراغ مثلا؟ وحتى إذا صح هذا بالنسبة للحركة الإسلامية فى بنجالاديش - وهو لايصح أيضا - فإن من غير المعقول أن يصح هذا فى وسط معمعة هذا الصراع الكونى على أرض فلسطين وفى المنطقة المحيطة به.

إلا أنه من المفيد هنا - أن ننقد الدكتور فتحى الشقاقى أيضا لأنه بعد أن ضرب فأسه النقدى التورانى فى جوهر المشكلة وأسباب المرض عاد ليعطى نوعا من الاعتذار في محاولة مفهومة لعدم استثارة قوة سياسية بعينها - الإخوان المسلمون - وللفت نظرها أن مؤسسيها التفتوا إلى طبيعة المعركة، فلماذا هم يتراجعون ويكونون أقل وعيا وفهما وحركة من جيل المؤسسين ورغم أن هذا صحيح جزئيا إلا أن النقد الموضوعى الشامل لا

يتفق مع الدكتور الشـقاقي في تلك النقطة، إنه يلفت نظر جـيل الإخوان المسلمين الحالي إلى ممارسة الإمام الشهيد حسن البنا في هذا الصدد الذي أدرك قواعد الصراع واستجاب للتحـدي، ولذلك الجيل الإخواني في عام ١٩٤٧ـ١٩٤٨ الذي قدم خيرة شبـابه شهداء على أرض فـلسطين، والذيـن كرسوا شعلـة الوعي المضيئة للقضيـة الفسطـينية كقـضية مركزية لـلحركة الإسلامية، ومع كـل التقدير والاحترام لجهـود البنا التاريخيـة في تلك، الفـترة، ولاسهـامات ذلك الجـيل الإخواني الـذي قدم خيـرة شبابـه شهداء عـلى أرض فلسطـين نسأل سؤالا مهمـا لماذا لم تستمـر تلك المسيرة الجـهادية ؟ لماذا تراجع الاهـتمام بالقـضية الفـلسطينـية لدى هؤلاء؟، لـماذا لم تقم حـركة الإخوان المسلـمين في فلـسطين باستمـرار الكفاح المسلح ضـد الكيان الصهيونـي منذ ١٩٤٨ وحتى فترة طـويلة؟ أو لماذا تركت القضية إلى القوى العلمانية أو الوطنيـة على اختلاف مشاربها واتجاهاتها تعيش بها وعليـها وتصل بهـا في النهاية إلـى المأزق المعروف نقـول «لو» أن الإخوان المسلـمين في فلسطين أستكملوا ما بدأه البنا، وساروا في طريـق الكفاح المسلح، لتغير وجهه المنطقة ولما كان المسار الفلسطيني قد وصل إلى هذا المأزق، ولما كان المسار العربي برمته قد وصل إلى هذه الأوضاع المأساوية ولكان من المستحيل عمـليا وصول الأنظمة الاستبدادية إلى الحكم في الوطن العربي والـتي استخدمت شعارات الصراع مع إسرائيل بـعد أن سقط الشعار من القوى الإسلامـية، بل لما كانت القوى الإسلاميـة قد تعرضت لهذا الليـل الطويل من الاضطـهاد والتـعذيـب والسجـن وأعواد المشـانق، وهـذا بالطـبع رد علـى هؤلاء الـذين سيبررون تراجع النضال الإسلامي ضد التيار الصهيوني بعملية الحصار والاضطهاد التي تعرضت لها الحركة الإسلامـية في بلدان الوطن العربي المتاخمة لفلـسطين، وهي بالطبع حجـة البليـد ووضع للهـرم علي رأسه بـدلا من قاعدتـه ، فلو كانـت الحركة الإسلامـية وخاصة في فلـسطين ـ قد سارت في طريق الـكفاح لكانت الشعـوب وقفت وراءها هي وليس وراء قوى العسكر أو العلمانيين ولكان هؤلاء لم يجدوا شيئا ليركبوه للوصول إلى السلطة وممارسة أعمالهم الخبيثة.

والحقيقة العارية ـ بلا معاملات السياسـة والظروف ـ أنه لو كان البنا قد وضع القضية

الفلسطينية كقضية مركزية فى صلب منهجه ومشروعه السياسى والحضارى لما أمكن التراجع بهذا الحجم لدى الأجيال التى تلته عن هذا الشعار والنضال والجهاد ومن أجله..

ونضيف هنا أسئلة وأحداث لا سبيل لنكرانها والشك فيها فما الذى يجعل رجلا مثل الشيخ حافظ سلامة هو الذى يقود جهاد شعب السويس فى مقاومته ضد الجيش الإسرائيلى عندما حاول هذا الجيش احتلال مدينة السويس عام ١٩٧٣ وأين كان الإخوان المسلمون... وما الذى يجعل رجلا مثل الشيخ أحمد المحلاوى هو الذى يقود المعارضة السياسية لكامب ديفيد ومشروع السادات التصالحى مع إسرائيل فى نهاية السبعينيات، وما الذى يجعل الدكتور الشقاقى نفسه وحزب الله فى لبنان هى اللذان يعيدان الوجه الإسلامى للمقاومة المسلحة ضد الكيان الصهيوني ثم تأتى حماس معهم وكرد فعل لهما، ولماذا لا تتفجر الانتفاضة إلا بعد نضال سياسى لتيار الدكتور الشقاقى فى الأرض المحتلة، ما الذى يجعل كل هذا يحدث لو لم يكن هناك خلل فى المنهج الإخوانى - ليس تكتيكيا بل استراتيجيا

نعود إلى الدكتور فتحى الشقاقى حيث يحلل لنا طبيعة الصراع ويعطيه أبعاده التاريخية والحضارية وهى محاولة رائدة له بالطبع، استحق بها أن يكون رمزا للمرحلة، بل رمزا لحركة الاسلام فى القرن العشرين فى مواجهة مشروع الهيمنة الغربى.

يقول الدكتور الشقاقى: «علينا أن نلجأ وبدقة إلى حركة التاريخ فوق أرض الوطن الإسلامى كأداة تملكها وتسيرها سنة الله المؤثرة فى هذا الكون، لنحاول استيعاب جذور القضية الفلسطينية وعلاقتها بأزمة الوطن الإسلامى ككل، ذلك إن أردنا أن نعى مرحلتنا وأن نعى أهدافنا وأدواتنا وإن أردنا أيضا أن نقترب مرة أخرى من شعلة الوعى والثورة»

والشقاقى هنا يلفت النظر إلى أن القضية الفلسطينية - هى جزء من قضية الوطن الإسلامى ككل، وهى جزء من سياق حركة - التاريخ فوق أرض الوطن الإسلامى، وبالطبع فإنها في القلب من هذا الوطن كقضية وكجغرافيا وتاريخ وكرمز دينى.

ويستكمل الدكتور الشقاقى: «لقد حكمت الدولة العثمانية فلسطين كجزء مهمم من

الأرض الإسلامية وعندما بدأت التوجهات اليهودية الصهيونية إلى فلسطين في نهاية القرن الماضى أعيد التشكيل الإدارى فى المنطقة لتصبح فلسطين وحدة إدارية تابعة مباشرة للصدر الأعظم فى أسطمبول، هكذا كان المنظور الإسلامى يتعامل مع الأرض الإسلامية ولم يكن قد برز بعد مفهوم الحدود التاريخية للوطن الذى سيشكل فيما بعد أسس الاتجاهات الوطنية فى المنطقة العربية كما أنه سيشكل أساس الفكر التوسعى الصهيونى، ولكن الصراع الحاد المتواصل بين الإسلام كمجتمع ونظام وبين الإسلام كتيارات فكرية واجتماعية الذى استمر طوال القرن التاسع عشر على أرض الوطن الإسلامي كان قد استطاع على مشارف القرن العشرين أن يقدم نتائجا فى غاية الخطورة فمنذ الحملة الفرنسية وحتى الحرب العالمية الأولى والغرب يحاول وبكل الوسائل تدمير الحائط الإسلامى الصلب الذى يمنع سيطرته على مكامن الثروة فى العالم ويشكل تهديدا أصيلا ولقيمه وبنيان نظامه وهكذا فقد استخدم الغرب حرابه العسكرية وبعثاته التبشيرية ومدارسه العلمانية ضمن هجمة عريضة ومتواصلة كان أخطر أدواتها تلك النماذج من أبناء المجتمع الإسلامى التى هزمت روحيا وفكريا وعملت كأدوات لعلماني الغرب ولأطروحاته السياسية القومية بالذات ضد وطنهم، وهكذا ومع بداية القرن العشرين كان حزب الاتحاد والترقى يدعو إلى قومية طورانية فى تركيا وكانت الأحزاب والجمعيات العربية مثل «العربية الفتاة، وجمعية العهد وجمعية بيروت الإصلاحية وحزب اللامركزية وأخرى كثيرة» تدعو إلى قومية عربية ودولة عربية مستقلة عن دولة الخلافة.

وعلى الجانب الآخر كانت الحركة الصهيونية كتعبير عن الفكر اليهودى التاريخى تحدد ملامحها السياسية فى أوروبا كحليف أصيل سياسيا وفكريا للاستعمار الامبريالى ضد ثروات الشعوب وللهجمة الغربية ضد الإسلام ووطنه، وهكذا ولدت الحركة القومية العربية ابنا شرعيا للهجمة الغربية ضد الوطن الإسلامى وبدت الحركة الصهيونية جزءا أصيلا من تلك الهجمة بكل ملامحها».

وهكذا فإن الشقاقى يصل إلى الكثير من الحقائق التاريخية التى لابد منها لفهم طبيعة الصراع ولتحديد التحديات ووسائل الاستجابة الصحيحة والمكافئة لها.

ففى إطار الصراع التـاريخى بين الإسلام والغرب، كان الغرب منذ الحمـلة الفرنسية يحاول بكل الوسائل تدمير الحائط الإسلامى وذلك بسبب الصراع التقليدى الذى يجعل من الحضارة الإسلامية تهديدا مستمرا وأصيلاً للغرب وقيمة وبنيان نظامه، وبسبب رغبة الغرب أيضـاً فى الوصول إلى مكامـن الثروة في العالـم التى كان الحائط الإسلامـى يمنعه عنها.

إن الغرب استخدم فى ذلك الصراع الكثير من الأدوات بدءا من الجيوش العسكرية وبعثات الـتبشير وانتهـاء باستخدام طابـور خامس من داخل الوطن الإسـلامى من هؤلاء المغـتربـين المهزومـين روحيا أمـام الغـرب والذين عـملـوا، كأدوات لعـلمانـية الـغرب ولأطروحاته السياسية والقومية بالذات ضد وطنهم.

إن الغـرب استخـدم الحركة الـصهيـونيـة كجزء مـن أدوات تحقيـق هذا المخطـط بل وأخطـر هذه الأدوات جمـيعا، ويـرى الشقـاقى أن الحركـة الصهـيونيـة جزء أصيـل من الهجمة الغربية بكل ملامحها، وأن الصهيونية بدورها رأت نفسها كحليف أصيل سياسيا وفكريـا للاستعـمار الامبريـالى ضد ثروات الـشعوب وللـهجمة الـغربية ضـد الإسلام ووطنه.

* * *

ويرصد الدكتـور الشقاقى «فى وعى فذ العـلاقةالجوهرية بين الاستعـمار وبين حركة القومية العربية والتى أدت ممارساتها وخياناتها إلى نجاح الغرب فى زرع الكيان الصهيونى فى فلسطين .

يقول الـشقاقى: «فـى ظل تلك المرحلة بدأت الاتـصالات بين الشـريف حسين ممـثل الحركة القومية العربية والسير مكماهون ممثل صاحب الجلالة ملك بريطانيا، قدم الشريف حسين رؤيته للمستقبل ضمن تكون مملكة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية تضم المنطقة العربـية شرق السويـس والجزيرة العـربية، إلا أن مكمـاهون منعه الـدخول فى تفـاصيل الحدود، وبعد الحاح وافـق على ذلك مستثنـيا فلسطين وبعض أجـزاء بلاد الشام الأخرى

من الدولة المطلوبة ولم يقدم البريطانيون أية ضمانات حقيقية للأحلام القومية العربية ورغم ذلك دخل القوميون العرب الحرب إلى جانب بريطانيا وضد الدولة العثمانية، لقد كانت المملكة العربية التى أرادها الجيل الأول من القوميين العرب نكوصا للوراء عن الدولة الإسلامية الكبيرة والشاملة لعدة قوميات وفى ظل الحرب العالمية الأولى احتلت بريطانيا فلسطين وأعلن وعد بلفورد أو عرفه العرب ونصب المؤتمر السورى الذى ضم ممثلين عن سوريا الكبرى محاولين بذلك سبق الأحداث، وعندما هزمت حكومة فيصل أمام القوات الفرنسية تم قبوله وعائلته للتسوية البريطانية بإعلانه ملكا على العراق نسى ذلك الجيل من القوميين العرب الذى كانوا فى أغلبهم ينتمون إلى طبقة كبار الملاك، نسوا إلى حدما تلك الفكرة القديمة لتأسيس دولة عربية كبرى وتوزعت اهتماماتهم بين دولة سورية وبين أوطان صغيرة مستقلة، لقد وقف القوميون من كبار الملاك فى شرق المنطقة العربية من الوطن الإسلامى مع فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية كتعبير عن هزيمتهم الفكرية والروحية والنفسية أمام فكر الغرب القومى العلمانى، وكتعبير أيضا عن طموحاتهم باستقلال إقتصادى عن الحكومة المركزية فى اسطمبول، إذ لا خوف من المستقبل ما داموا هم الذين سيحكمون دولة المستقبل تلك، هذا هو الإطار العام الذي حكم الصراع فى المنطقة ككل بين الحربين العالميتين أو بين وعد بلفور والهجمة الأولى عام٤٨».

وهكذا ضاعت فلسطين... أو قل بدأ ضياعها تم استكمل جيل العلمانيين والتغريبين الذين حكموا المنطقة تضييعها... وهنا يرصد الشقاقى تراجع فكرة الوحدة الإسلامية والوطن الإسلامى، وبروز فكرة القومية العربية ويرى أنه بين هذا التراجع وذاك الصعود كان ضياع فلسطين.

***

ويستكمل الشقاقى دراسة الظروف والأوضاع التى أدت إلى ضياع فلسطين فيقول: «صاحب نهاية الحرب الأولى إزدياد الهجرة الدولية إلى فلسطين بعد الاحتلال البريطانى وإعلان وعد بلفورد مباشرة وقد تحركت الجماهير الفلسطينية بحسها التاريخى ضد

الهجمة ولكن الوجـهاء والملاك الذين قادوا الانفصال عن الدولة العثمانـية متحالفين مع بريـطانيـا عادوا مرة أخـرى وضمن ظـروف تدهـور سياسـى وحضارى شـامل ليـقودوا الجماهير وحركتها فـأنشئت الجمعيات في المدن الفلسطينية وقـادها الوجهاء والتجار وقد عقد ممثـلوا تلك الجمعيـات المؤتمر الفلسطيـنى الأول فى يناير١٩١٩ وكان عـدد المؤتمرين ٢٧ منهم ١١ أصدقاء لبريـطانيا و٢ أصدقاء لفرنسا من المستقـلين و١٢ من أنصار الوحدة القومية العربية، وكان واضحا أن المؤتمر ورئيسـه «موسى كاظم الحسينى» سيقفون موقف المهادنة مـن بريطانيا وأن اتجـاه المؤتمر العام سيـفهم الصراع علـى أنه صراع مع الصهـاينة فقط وعندما أعلنت بريطانيا الانتداب على فـلسطين وعينت الصهيونى هربرت صموئيل مندوبا سامـيا لها في القدس ليـسرع فى تنفيذ وعد بلـفورد لقيام وطن قومى لـليهود. قام صموئيل بتـشكيل مجلس استشارى له مـن اليهود والمسلمين والمسيـحيين وكان من أبرز أعضاء المجلس من العرب «إسـماعيل الحسينى وفريح أبو مدين وسلـيمان ناصيف وعبد الرازق طوقان وهم جـميعا ينتمون إلى فئـة الوجهاء والملاك أصدقاء بريطايـنا، نفس هذه الفئة ستشكل الحزب الوطنى بقيادة عارف الدجانى وراغب التشاشيبى وسليمان الفاروقي ليكون أداة ضد الوطن ومع بريـطانيا، ولقد قام الفلسطينيون بثـلاث إنتفاضات دموية قبل مطـلع الـثلاثـينات، كـانت الأولـى سنـة ١٩٢٠ والثـانية سـنة ١٩٢٣، وكـانت فـى ظل أطروحات نـفس الزعماء ضـد التواجد الصـهيونى فقـط، ولكن فى عام ١٩٢٩ وعـندما حاول اليـهود الاقتراب من المـقدسات الإسلاميـة فى القدس ثـارت الجماهير مـتجاوزة قياداتها ضد اليهود وضد بريطانيا ومؤسـساتـها الحكومية، لقد أصبح واضحا رغم تضليل الزعماء من الملاك والوجهاء أن الصراع ضد الهجمة بطرفيها بريطانيا والحركة الصهيونية معاً وعلى رأس التنظيمات الداعية إلى مهاجمة بـريطانيا كانت جمعية الشباب المسلم فى حيفـا ذات الصلة الـوثيقة بـالشيخ القـسام، وفى مطـلع العام الحـادى والثلاثين عـقد فى القدس ما سـمى بالمؤتمر الإسلامـى الذى سيطرت علـيه نفس العنـاصر القيادية المـرتبطة ببريطانيا، وبالتالي فإن المؤتمر رغم شمولية تمثـيله للمسلمين فى العالم من سنة وشيعة فى المنطقة العربيـة والهند وإيران إلا أنه لم يستطع التقدم بالـصراع إلى الأمام، وعقب المؤتمر مباشرة أصبحت التيـارات السياسية فى الساحة الفلسطينية واضـحة ومميزة، فقد حافظت

العناصر القومية التقليدية على أفكارها ومنهجها في العمل صمن حزب الاستقلال، عجاج نويهص وأسعد داغر وعزة دروزة وصبحى الخضرا وشكل الوجهاء أصدقاء بريطانيا حزب الدفاع الوطنى «راغب النشاشيبى» وقدمت عائلة الحسينى رؤيتها الوسطية الوطنية ضمن الحزب الوطنى الفلسطينى «جمال الحسينى» ومباركة المفتى «الحاج أمين الحسينى» وكان الحزب مزيجا من الأحلام القومية وآمال الاستقلال الوطنى وشيئا من الحسن الإسلامى، ولكن تلك الاتجاهات لم تكن قادرة - تظر إلى المواقع الفكرية اللاإسلامية على تحديد جوهر الصراع والتقدم نحو حسمه وكان لابد للجماهير بوعيها الإسلامى وبحسها التاريخى أن تقدم رؤيتها ومنهجها فكانت حركة عز الدين القسام، ويستمر الصراع فى تصاعده بين الجماهير من جهة وبريطانيا والحركة الصهيونية من جهة أخرى بينما قيادات الوجهاء مازالت تتسلق أكتاف حركة الجماهير كزعامة رسمية، وعندما تفجر الصراع بشكل شامل وعنيف سنة ١٩٣٦ تشكلت قيادة الثورة من عونى عبد الهادى، وأحمد حلمى باشا، وراغب النشاشيبى وجمال الحسينى وعبد اللطيف صلاح وحسين الخالدى «نفس الوجوه ونفس الممارسة فقد كانوا ممثلين لمرحلة بأكملها فعندما كانت الجماهير تقدم دمها على ساحة الجهاد كانوا هم خارج الساحة يقودون المعركة، وبعد ستة أشهر من الجوع والقهر والدم جاءوا هم وحلفاؤهم من الزعماء العرب فى الممالك العربية «مصر والأردن والسعودية والعراق» ليأمروا الجماهير بوقف المعركة لأن الصديقة بريطانيا ستتفهم مطالبنا.

والشقاقى هنا يضع ملامح المنهج الصحيح للمواجهة، وهو يعرى ويكشف مناهج أخرى تشكلت وما كان لها إلا أن تفشل فى تلك المواجهة. منهج الزعماء والوجهاء والعلمانيين وأصدقاء بريطانيا الذين يعزلون الهجمة الصهيونية عن منهجها الأصيل وهو مشروع الهيمنة الغربى فيهاجمون الصهاينة ويتركون بريطانيا، أو حتى يثقون فى وعود الصديقة بريطانيا التى هى ممثلة مشروع الهيمنة الغربى فى ذلك الوقت فكيف نحل مشكلاتنا وننتزع حقوقنا بالثقة فى عدونا الذى اعتدى على تلك الحقوق وسلبها وانتهكها، وهكذا كان هذا المنهج الفاشل والذى كان يتسلق على أكتاف الجماهير هو

سبب تكريس ضياع فلسطين والاستمرار فى منطق اللامعقول وفى المقابل كانت الجماهير تدفع الدم، بالحس الإسلامى والوعى التاريخى.وتعرف شيئا فشيئا طبيعة المعركة وكونها معركة ضد الهيمنة الغربية ورأسها الصهيونى، وبدءا من عام ١٩٢٩ بدأت الجماهير تهاجم انجلترا والصهاينة على حد سواء، ويرجع ذلك إلى طليعة مجاهدة اكتشفت طبيعة الصراع في ذلك الوقت وهى جمعية الشباب المسلم ذات الصلة بالقائد التاريخى الفذ عز الدين القسام... وتعتبر هذه الطليعة المؤمنة المجاهدة الواعية بجوهر الصراع ويعتبر رمزها التاريخى الشيخ المجاهد عز الدين القسام بمثابة العمق التاريخى لحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين ورمزها التاريخى أيضا الدكتور فتحى الشقاقى. وهذه وتلك أدركت أن المواجهة شاملة مع مشروع الهيمنة الغربى برمته ومع رأس الحربة فى ذلك المشروع «الصهاينة» وبأن الكفاح الجماهيرى المسلح والواسع والنضال السياسى ضد الغرب كفكر وثقافة وقيم ووجود عسكرى وسياسى هو فريضة شرعية وضرورة استراتيجية وشرط أساسى لصحة طريق المواجهة لاستعادة الحقوق وحسم الصراع الحضارى، طال الزمن أم قصر.

* * *

ويستمر الدكتور فتحى الشقاقى فى تحليله الفذ قائلا: «وقد شهدت الأربعينيات الذروة الأولى للصراع على فلسطين وبحلول عام ١٩٤٧ كان الاستعمار الغربى بكل قواه ضمن لحظة حاسمة من الهجمة على الوطن الإسلامى يقف وراء الحركة الصهيونية ومعها من أجل قيام إسرائيل، وعلى الجانب الآخر كانت الزعامات الملكية العربية ووجهاء وملاك فلسطين قد نشأوا فى أحضان الهجمة الغربية، وقادوا قبل خمسين عاما عملية تحطيم الدولة الإسلامية ويريدون اليوم مواجهة الحركة الصهيونية وهو أمر يثير الدهشة وكان يومها أيضا بإمكان الجماهير الإسلامية أن تقدم لامتها وجها حقيقيا وأصيلا ولذا فقد دخلت الفصائل الإسلامية الإخوانية من مصر والأردن وسوريا إلى ساحة الصراع وحين كان الجميع يهزمون ويتراجعون كان الإسلاميون يثبتون ويستشهدون ولكن المرحلة كانت أكبر طاقتهم.

واستطاع التحالف الصهيونى الغربى فى النهاية إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين كتجسيد مجتمعى وحى ومستمر للهجمة الغربية الشرسة ضد الوطن الإسلامى، وسقطت كل الرؤى القديمة لمستقبل المنطقة بعد هزيمة الدولة الإسلامية، سقطت لأن قياداتها لم تخض فى الحقيقة معركة ضد الغزو، فقد كانت فى جانبه بقصد أو بدون قصد وكانت تتزعم معركة زائفة لصراع لم تع جوهره فحتى سنة ١٩٢٩ كانت تلك القيادات تصور اليهود فقط كطرف للصراع بينما الجماهير بحسها الإسلامى تشعر أن بريطانيا هى الطرف الآخر وحين دعا أئمة المساجد الجماهير إلى عدم دفع الضرائب لحكومة بريطانيا الكافرة كتصعيد للصراع وقفت القيادات من الملاك والوجهاء ضد الدعوة خوفا على أملاكهم من رد الفعل البريطانى وحين تقدمت الحركة الإسلامية الثورية بقيادة الشيخ عز الدين القسام رافعة السلاح فى وجه بريطانيا لم تتكلف تلك القيادات المزعومة مجرد السير فى جنازة الشهداء، وفى حمى معارك النكبة الأولى كانت الجماهير تستشهد وهم يتفاوضون، وكانت بإسلامها مصممة على مواصلة الصراع وهم يوقعون إتفاقات الهدنة وكان لابد أن تسقط أنظمتهم الواحد تلو الآخر وأن تسقط أطروحاتهم ومناهجهم فقد قادوا المرحلة من بداية القرن إلى النكبة الأولى فلم يعطوا الأمة إلا الجوع والتضييع وفقدان الذات وتكريس قواعد الهجمة الغربية الاستعمارية على أرض فلسطين على طول الوطن الإسلامى وعرضه بأحزابهم وأفكارهم وقيمهم وهزيمتهم، كانوا جزءا من الهجمة لا يتجزأ.

وفى الحقيقة فإن الإنسان أمام هذا الوعى الفذ والتحليل الدقيق لا يستغرب أن يكون من اكتشف هذه الحقائق.. هو ذاته من يحولها إلى حركة جهاد تحمل السمات والملامح الصحيحة للمواجهة، بل وأنه يستشهد دفاعا عنها ومن يستحق الاستشهاد أكثر من الشقاقى.

اكتشف الشقاقى هنا، أو قل أكد اكتشافاته السابقة وأضاف إليها اكتشاف وأكد أن التحالف الغربى هو الذى أقام دولة إسرائيل على أرض فلسطين كتجسيد حى ومجتمعى ومستمر للهجمة الغربية الشرسة ضد الوطن الإسلامى.. وكان من الطبيعى والحالة هذه،

أن تكون المـواجهة ضد مشـروع الهيمنـةالغربى برمـنه وضد التجـسيد الحى والمجتـمعى والمستمر للهجمة الغربية الشرسـة ضد الوطن الإسلامى «إسرائيل» ولكن هل كان يمكن للقوى والرموز والزعامات التى ترتبت ونـشأت فى أحضان الغرب وتحمل نفس قيمه إن لم تكن خائنة أصلا أن تواجه مشروعا هى ذاتها جزء لا يتجزأ منه..

وهل كان هناك نتيجة أخرى يمكن أن يوصلنا إليها هؤلاء الذين تربوا فى الغرب سوى قيام إسرائيل فى عام١٩٤٨

وهل هناك مـن يواجه إلا الجماهير بـحسها الإسلامي وبـوعيها التاريخـى.. ولكن أين الطليعة القادرة على شد الجماهير وتعبئتها؟ وبعد القسام أين كان الإخوان مثلا؟! . ولماذا توقف العمل الصحـيح وفقا للرؤية الصحيحة؟ اللهـم إلا فى بعض حالات لا يمكن أن تشكل ظاهرة، ولماذا تركـت الجماهير تحت رحمة قوى هى جزء من الهجـمة ذاتها تتسلق على أكتـافها وتتاجر بـدمها وتتفاوض عـلى مصالحها وتـصل إلى حلول وسط تحـقق لها مصالحها الطبـقية وتحصن ممتلكاتها الاقتصـادية خوفا من بريطانيا وغيرهـا، أو حتى تقتسم فئات النهب مع مشروع الهيمنة الغربى ثم تدعى الثورية.

وفى الحقيقة فإن كل الحـقائق التى رصدها الشقاقى هنا،كانت ولاتـزال منهاجا مفسراً لكل الأحداث والقوى والمعادلات حتى يومنا هذا.

***

ويستطرد الشقاقى قائلا: «كان من الطبيعى أن تتصدى الحركة الإسلامية لقيادة المرحلة التـالية إلا أن ظـروف نهايـة الأربعيـنيات وبـداية الخمسـينيـات السيـاسية والاجـتماعـية والاقتصادية وعنف التدخل الغربى في الوطن الإسلامى لم تسمح لها بذلك، وقد انتهت النـكبـة الأولى بتـوجيه ضـربات قـوية إلى آمـال الجمـاهير وإلـى إسلامهـا وإلى أرضـها وتقدمت إلى السلطة الـعناصر العسكرية فى إنقلابات متواصلة تقـدم أطروحاتها القومية الجديدة وتوثق علاقتهـا بالغرب سواء الرأسمالى أو الشيوعى، وتدعـى أنها جاءت لتعيد للأمة وحدتها ولتـبنى مستقبلها ولتحـقق لها العدل الاجتماعى والرفاهـية والتقدم، ولكن

إنتماءها القومى العلمانى فى الخمسينيات وانتماءها الاشتراكى العلمانى فى الستينيات كانا يحددان موقعها تماما من قضية الصراع على أرض الوطن الإسلامى، لقد كانوا أطروحة جديدة فقط للهجمة الغربية ضد الإسلام ومع الغرب دائما سواء الشيوعى أو الرأسمالى ضد استقلال أمنهم وكانوا مع القهر والاعتقال والاغتيال ضد سلام الأمة وحرية مفكريها ورجالها، وكانوا مع رفاهيتهم وأرصدتهم ضد طموحات الأمة فى النمو والتقدم والرفاهية، كان هذا هو إطار المرحلة التالية من النكبة الأولى فى١٩٤٨ إلى النكبة الثانية فى عام ١٩٦٧ وحتى على النطاق الفلسطينى البحت فقد نمت نفس الإتجاهات الممثلة للأنظمة العسكرية العربية وفى حمى الغياب القاتل للوعى فى تلك المرحلة غاب مرة أخرى الوعى الجوهرى والتاريخى الصحيح للقضية الفلسطينية بل إن مختلف الاتجاهات الموجودة الآن على الساحة الفلسطينية ضمن إطارمنظمات المقاومة تعود بأصولها إلى تلك المرحلة وربما قبلها بقليل، وكانت النكبة الثانية فى صيف عام ١٩٦٧ انهيارا شاملا للثوريين الاشتراكيين من العسكر ولأنظمتهم ولمناهجهم، لقد سقطوا أولا حين ضاعت وعودهم فى ظل ممارساتهم وسقطوا ثانيا حين قدموا بقية الأرض والتاريخ فداء لوجودهم وبقاء تسلطهم على روح أمتنا، وكان لابد عقب النكبة الثانية أن تعود الأمة إلى أصالتها وإلى حسها الإسلامى ووعيها التاريخى وتتلمس به طريقها بعد سنوات التضييع والسقوط، كان لابد أن تدرك أى منحدر خطر قد وصلت إليه بعد أن ضيعوا هويتها الإسلامية وبعد أن أسلمت قيادها إلى أعدائها وتلاميذهم الشرعيين، ومع مطلع السبعينيات كان المد الاسلامى الشامل فى الوطن الإسلامى هو الرد الطبيعى والعلمى على المراحل السابقة التى أدت بأمتنا إلى نكبتين مروعتين فى أقل من عشرين عاماً، وتكشفت مساحة الصراع عن تيار إسلامى متصاعد يتقدم لحسم هذا الصراع لصالح أصالة الأمة واستقلالها وتقدمها الحقيقى وعلى الجانب الآخر كانت تقف قوى الغرب الاستعمارية وامتدادها من أنظمة وأحزاب قومية واشتراكية ووطنية بجانب إسرائيل كتجسيد للهجمة ضد الإسلام.

وبالطبع فإن الدكتور الشقاقى قد أصاب كبد الحقيقة حينما رصد التيارات الحاكمة

فى الوطن الإسلامى، والتى هى امتداد لنفس التيار الذى نشأ فى أحضان الغرب وهو جزء لا يتجزأ من الهجمة الغربية على الوطن الإسلامى، وبالتالى فهو غير قادر على المواجهة وكان الطبيعى أن يقودنا هؤلاء إلى نكبتين مروعتين فى أقل من عشرين عاما.. وبديهى أن الشجرة العلمانية التغريبية الخبيثة «القومية الاقطاعية» ما كان لها إلا أن تنتج أجيالا أخرى من نفس الشجرة «القومية العسكرية ثم القومية الاشتراكية» وذلك لتجديد شبابها والاستمرار فى سياسة الخداع وامتطاء رقبة وأكتاف الجماهير، بل إن التطور الذي حدث فى القومية الاقطاعية، تجاه القومية الاشتراكية كان جزءا من الخداع والهاء الجماهير بقضايا أخرى غير قضية صراع الوجود والاستمرار تنفيذا للمخطط الغربى وكان هذا التطور باتجاه الاشتراكية القومية بتشجيع من الغرب وإسرائيل بالطبع.

ولكن لنا بعض الملاحظات على رؤية الدكتور الشقاقى بخصوص الحركة الإسلامية.. فنحن لانرى معه أن ظروف نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينات لم تسمح للحركة الإسلامية بالتصدى لقيادة المرحلة كما كان متوقعا بعد النكبة الأولى، لأنه أولا ليس هناك ظرفا يمنع حركة من التصدى لتحدياتها مهما كان كبيرا، ولكن هذا الظرف يحقق نتيجته عندما تكون البنية الداخلية للحركة قابلة لهذا.. وعلى طريقة مالك بن نبى فى مفهوم القابلية للاستعمار تقول أنه كان هناك داخل بنيان الحركة الإسلامية قابلية للاستبعاد، أو التخلى عن دورها، بل إن ما حدث لها بعد ذلك لم يكن إلا نتيجة هذه القابلية... وإذا تخلت حركة عن دورها الرئيسى وتحدياتها الجوهرية فإنها تنجذب تلقائيا إلى التطرف والتكفير وغيرها من الأمراض التى أصابت الحركة الإسلامية فيما بعد، وفى رأيى أن هناك خللا داخليا ادى إلى هذا الأمر وهو أن الحركة وخاصة الإخوان المسلمين اعتبروا التنظيم أهم من الموقف والجماهير، وأعتمدوا على الصف والكادر ولم يعتمدوا على الجماهير وأستبدلوا قوة الموقف ومبدأيته بقوة التنظيم والمحافظة عليه مهما كان الثمن غاليا على مستوى الموقف والمبدأ والشهادة على المرحلة.

وكذلك فإن هذا العيب الداخلى أيا كان وذلك التخلى أو القابلية للاستبعاد هما اللذان أديا إلى ترك الأمة تقع فى براثن العسكر وأبناء المدرسة الأستعمارية من حكومات وأحزاب وقوى ومؤسسات بل وأنه تتعلق هذه الرموز فى غياب القيادة الطبيعية للأمة،

وإذا ما تركنا الشعلة تسقط فمنى الطبيعى أن يلتقطها المزيفون ويمارسون بها كل الجرائم ويجرون الأمة إلى نكبات مروعة. وهكذا فإن صعود العسكر والقمع الذى طال الإسلاميين والأمة عموماً على أيديهم لم يكن هو السبب فى استبعاد الإسلاميين عن قيادة الجماهير نحو تحدياتها الصحيحة، بل العكس صحيح تماماً، فإن تخلى الإسلاميين وخاصة الإخوان عن روح المبادرة والتركيز على القضية الأم والسير فى متاهات قوة التنظيم وغيرها هو الذى قاد إلى حكم العسكر وأدى إلى القمع والنكبات وهكذا فالإسلاميون مسئولون أمام الله ثم أمام الأمة عما حدث... وعموما فهناك حقيقة لا يمكن تجاهلها وهى أنهم أصلا لم يجربوا ذلك بعد ١٩٤٨، ولو جربوا وفشلوا لكان لهم العذر وحتى الدكتور الشقاقى يعرف وكان يثق فى الجماهير، فالعيب لم يكن في الجماهير بل فى غياب الطليعة، وتجربة الدكتور الشقاقى أيضاً تؤكد ذلك، فالظروف الموضوعية التى نشأ فيها تنظيم الجهاد الفلسطينى أصعب كثيرا من الظروف الموضوعية فى نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات، فلماذا نجحت تجربته؟، لأنه حاول بصدق وإخلاص، فقط لاغير ولو كانت الحركة الإسلامية فى نهاية الأربعينيات قد انحازت إلى جماهير الأمة وفقرائها وكادحيها وأصحاب المصلحة الحقيقة فى النضال ووقفت موقفا ثوريا ضد الوجهاء والأقطاعيين وأصحاب المصالح المتحالفون مع الاستعمار بدلا من محاولة استدراجهم إلى صفها ـ وهيهات ـ لو كانت الحركة الإسلامية بعد ١٩٤٨ قد نفذت عمليات جهادية وفدائية واستشهادية ضد الكيان الصهيونى لماحدث أصلا ما حدث فى طول المنطقة وعرضها والصحيح والموضوعى أنه منذ ١٩٤٨ ـ وحتى١٩٥٤ أو على الأقل حتى عام١٩٥٢ أى أربعة سنوات كاملة، كانت الظروف المحلية والدولية شديدة السهولة فالحكومات العربية كانت ضعيفة للغاية ولا تقدر ولا تجرؤ على منع العمل الفدائى الإسلامى ضد الكيان الصهيونى، ولا كانت إسرائيل قد حققت قوتها، ولا كان الغرب بحكم حالة الانهياروالتداعى التى أصابت قوى الاستعمار القديم «انجلترا وفرنسا» وصعود الاستعمار الجديد «أمريكا» والاتحاد السوفيتى قادرا على منعها لأنه كان فى أضعف حالاته أما وقد أضعنا الفرصة فلنعترف بالمسئولية عن هذا الضياع أولا حتى لانكرس الأسباب التى أدت إلى هذا الضياع، ثانيا ومن المؤسف أنه بعد ١٩٦٧ ومع إفلاس الأنظمة التغريبية تماما وصعود الحس الإسلامى الجماهيرى بطريقة مذهلة تؤكد

حيوية الأمة، راحت الحركة الإسلامية طول السبعينيات تهتم بالشكل على حساب الجوهر، وأصيبت بعدوى الوهابية والسلفية ولم تقدم ما يكافئ دورها الطليعي ولا مسؤليتها أمام الله في القضية المركزية وجوهر الصراع.. إلى أن قيض الله للأمة فتحي الشقاقي ليعيد للحركة رسم خريطة وسلم الأولويات الذي كان مقلوبا.

* * *

يصل الشقاقي إلى بلورة رؤيته للقضية الفلسطينية قائلا: «إن القضية الفلسطينية بما وصلت إليه جزء من ملامح التيارات اللاإسلامية التي تعاقبت على التصدي الانتهازي لقيادة حركة الجماهير أو التي تسلمت السلطة طوال الفترة التالية لهزيمة الدولة الإسلامية في مطلع هذا القرن، تلك القيادات التي تمثل التراجع المستمر أمام التحدي الصهيوني الغربي، الذي جاء ليلغي التاريخ ويسقط وعي الأمة ويهدم الحائط الإسلامي الصلب ويستولي على الأرض والثورة والمستقبل، كما أن فشل تلك القيادات في سنة ١٩٤٨ ثم في سنة ١٩٦٧ ثم عجزها عن مواصلة الصراع كنتيجة لعجزها عن فهمه قد أدى بها كما نرى الآن إلى قبول أي شئ كحل للقضية ويدل على ذلك ما نراه من ممارسة الجميع وإعلانهم عن مشاريعهم لحل القضية ابتداء من الأنظمة العربية بكل أصنافها إلى من يدعون قيادة الفلسطينين بكل انتماءاتهم ويبدو الإسلام وحده كدين، والإسلام وحده كتاريخ وحضارة ونظام وممارسة القادر على مواجهة الأزمة وفهمها وقيادة حركة الصراع وحسم ذلك أنه هو الطرف الحقيقي والمستهدف وهو وعي الأمة وحسها.

ويضيف الشقاقي: «إن الهجمة اللاإسلامية وطرفها الأساسي وهو الغرب لم يستطع أن يقيم إسرائيل ككيان كامل فكرا ونظاما، حضارة وهدفا، إلا عندما استطاع أن يثبت مؤسساته وأجهزته وتياراته في منطقة الوطن الإسلامي وحولها وكانت إسرائيل بالتالي جزءا مهما ومركزيا من هجمته على الوطن الإسلامي. وأمام الحركة الإسلامية اليوم إما الوعي للهجمة والتصدي لها بجميع جوانبها وإمكانياتها وأدواتها أو أن تبقى في مكانها تراوح بين التقدم مرة والتراجع مرات، إما أن تعي جوهر الصراع تماما ودور القضية الفلسطينية فيه أو أن تتعرض لأسوأ الحقب على أرض الوطن الإسلامي تلك التي تلوح في الأفق، الحقبة الإسرائيلية».

(٢)
المواجهة الحضارية الشاملة
فى
مواجهة مشروع الهيمنة الغربي

الإسلام شكل لهـذه الأمة حضار ة متميزة ، ومنـظومة ثقافية محـددة وشخصية حضـارية مـحددة المـلامح ، وهـى حضـارة تقوم عـلى الـتوحـيد والـعدل والحـرية ، وحضارتنا تدعو إلى التعاون والاستفادة من تجارب الآخرين ، ولكنها بالطبع ترفض الذوبان والخضوع للمنظومات الحضاريـة الأخرى، والأمر أشبه بشجرة، إذا قطعتها مثلا بـدعوى تثبيت شـجرة أخرى، فهذا لـيس تعاونا وكذلـك إذا طعمتها كـما هو معروف فى علـم النبات، بشجرة أخرى لـيست من عائلتهـا فإنها لاتستجيـب ويصبح الأمر كلـه هراء وليس إلامن قـبيل القضاء عـلى شجرتنـا الحضارية والصـحيح أن نستفيد بتجارب الاخرين فى طرق تنمية هذه الشجرة وتغذيتها والحصول على أحسن الثـمار عن طـريق تحويـل هذه التجـارب والأسمدة والمخـصبات فـى داخل أنسـجة شجرتـنا إلى شئ جديـد مرتبط بطـبيعة وشخـصية هذه الشـجرة، أى هضمة وتحـويله داخل النسيج الحى لشجرتنا الحضارية إلـى جزء لا تيجزأ من شجرتنا الحضارية وليس تشويها خارجيا لها أو مـحاولة للصق قيم حضارية خارجية عنها ستـلفظها بالطبع أو تسـبب لـها مشـاكل تضـعفـها أو تؤدى حـتى إلـى موتهـا، إذن فنحـن دعاة تـعاون حضارى بهذا المفهوم أما المفاهيم الأخرى فهى محاولة لخداعنا وإخضاعنا تحت ستار التعاون الحضارى.

ونحن الآن أمـام حضارة غربـية لها القـوة والسيادة عـلى العالم ولـها منجـزاتها العلمـية والتقنية ونحـن لانرفض بالطبع أن نسـتفيد من علومـها ومنجزاتها التـقنية بشرط أن يدخل ذلك فـى نسيجنا الحضارى ويتم هـضمه وتحويله وفقا لعمـلية داخلية بحته.

ولكن هل تقبـل الحضارة الغربية بهذا النـمط من التعاون، إنها تقوم عـلى القهر والنـهب والعـنف والـعنصـرية وحضـارتنـا تقوم عـلى التـوحيـد والحرية والـعدل واللاعنصرية، ولايمكن بـداهة أن يحدث تلقيح بين شجرتين حضاريـتين مختلفتين إلى هذه الدرجة، والحضارة الغربية تريد الهـيمنة والقضاء على الحضارة الإسلامية لأسباب كثيرة، فهل نقبل الخضوع لها والإندماج فيها؟!. والحضارة الغربية ترفض حتى إعطاء الآخرين وخاصة المسلمين علومها التجريبية ووسائلها التقنية - برغم أن

العلم تراث إنسانى ، والحضارة الغربية نفسها استفادت من علوم وتقنية الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، ولعل محاكمة المهندس المصرى عبدالقادر حلمى فى أمريكا بتهمة سرقة التكنولوجيا الأمريكية خير دليل على ذلك.

إذن ليس هناك من سبيل أمامنا سوى إنتزاع العلم إنتزاعا، ليس هناك سبيل للتعاون، بل للمواجهة - ليس رفضا من ناحيتنا للتعاون - بل لأن الحضارة الغربية لاتقبل بالتعاون الحر، بل تريد الهيمنة علينا وإخضاعنا بل وإبادتنا حضاريا وبشريا، الموقف الصحيح هو المواجهة، والمواجهة تكون برفض الإندماج فى حضارة الغرب، والتأكيد على الذات والهوية الحضارية لأمتنا وحشد الأمة كل الأمة لمناهضة الاستعمار والصهيونية وتحقيق النهضة ، وانتزاعها انتزاعا.

والله تعالى قد رسم لنا هذا الطريق فى القرآن الكريم، يقول تعالى "ياآيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لايهدى القوم الظالمين. فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا فى أنفسهم نادمين". هذه الآيات الكريمة تصف أحوالنا مع الغرب واليهود الآن، فالتحالف بين اليهود والنصارى لم يحدث إلا فى السنوات الأخيرة، وكان العداء بينهما أمر ثابت بل وتعرض اليهود للأضطهاد دائما على يد الغرب وآخرها أفران هتلر، إذن فالآية تصف الأحوال المعاصرة وترسم الطريق الملائم لهذه الأحوال، وهو رفض الإندماج فى حضارتهم وعدم موالاتهم، والآيات تتحدث أيضا عن هؤلاء الذين ينتشرون بيننا الآن ويقولون لنا أنه لايمكن مواجهة الغرب وإسرائيل لأن هناك عدم تكافؤ كبير جدا فى القوة بيننا وبينهم وبالتالى علينا أن نخضع ونندمج فى الحضارة الغربية، ولكن الله تعالى يطمئننا أن الصبر والصمود والمواجهة هو الطريق الصحيح لأن الله تعالى سوف يأتى بالفتح أو بأمر من عنده.

وفى كل الأحوال فإن الخضوع والإندماج يعنى بالنسبة لنا الموت الحضاري، والمواجهة قد تعنى الموت وقد تعنى الكثير من الخسائر، وقد تعنى النصر أيضا فى النهاية، ولكن الخضوع يعنى القضاء على البذور الكامنة بالإضافة إلى الساق

والفروع، أما الصبر والمواجهة فقد يعنى دمار الفروع والسيقان، ولكن تظل البذور كامنة تحت التربة فتعطى مرة أخرى فى ظروف أفضل ساق جديدة وفروع جديدة، وتنمو الشجرة من جديد.

وهكذا فإن المواجهة الحضارية الشاملة هى إحدى سمات المشروع الحضارى الإسلامي، والمواجهة الحضارية الشاملة هى الطريق الوحيد للانعتاق نحن وغيرنا من المستضعفين فى العالم من مشروع الهيمنة الغربي..

* * *

كان الدكتور فتحى الشقاقى من أشد المهتمين ببناء رؤية ونظرية للمواجهة ضد مشروع الهيمنة الغربي، ليس لتحرير فلسطين فقط، بل لتحرير العالم العربى والإسلامى كله، بل أيضا لتحرير كل ضحايا الحضارة الغربية وهكذا، كانت نظرية الدكتور فتحى الشقافى بمثابة لاهوت تحرير إسلامى لكل المستضعفين فى العالم من الهيمنة والنهب والقهر الغربي، ورؤية الشقاقى لمسألة الهيمنة الغربية وقضية الاستقلال والتبعية رؤية ثرية تضم ماهو تاريخى وماهو سياسى وماهو استراتيجى بل ووضع التصورات لوسائل وآليات المواجهة.

فمن الناحية التاريخية يقول الشقاقى "استؤنف الرد الأوروبى العسكرى على العالم الإسلامى منذ القرن السادس عشر من قبل اسبانيا والبرتغال ثم عادت الكرة فى القرن التالى على جبهة المواجهة مع روسيا القيصرية التى توسعت فى القرم ثم عادت فى القرن الثامن عشر لتستولى على معظم القرم وعلى رومانيا وشواطئ البحر الأسود ومنذ مطلع القرن التاسع عشر بدأت خسائر المسلمين الواحدة بعد الأخرى. فقد انسحب العثمانيون من اليونان وخسروا معظم المغرب العربى ومصر والسودان وسواحل البحر الأحمر وقبرص لصالح بريطانيا وفرنسا، فى حين استولت الأولى على الهند وساحل الخليج وبحر العرب وعدن، ومأن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كان العالم الإسلامى كله محتلاً عدا السعودية وتركيا الحديثة وإيران "منبر الشرق العدد ٨ يوليو ١٩٩٣".

وبعد أن يستعرض الدكتور الشقاقى المراحل التاريخية للهيمنة الإستعمارية على بلادنا يصل إلى المرحلة الحديثة ويحددها بأن الاستعمار استهدف تجزئة العالم الإسلامى وخاصة قلبه العربى إلى وحدات متصارعة مقطوعة عن بعضها البعض يشعر كل منها بالحاجة إلى الأجنبي، وتسليمه مقاليد دول الإستقلال إلى نخبة متغربة، أو صديقة أو عميلة للعواصم الغربية الإستعمارية وإحاطة هذه النخبة بقطاع واسع من الكتاب والصحافيين والتجار ورجال الفكر والتعليم والإدارة الذين لايعرفون مرجعية لهم سوى المرجعية الحضارية الغربية، سواء كان ذلك بحسن نية أو سوئها، ومنع المنطقة وخاصة كياناتها الكبرى سلماً أو حربا من أهداف النهوض المدنى وتحقيق المنعة العسكرية واستغلال الثروات لصالح الشعوب ومستقبلها، بل قامت الدول الإستعمارية ومازالت بامتصاص خيراتنا، كما استخدمت القوى الغربية ثقلها الصناعى وسيطرتها على المنظومات النقدية والإقتصادية العالمية لإحكام ارتباط إقتصاد بلادنا بعجلة الإقتصاد والنقد الغربي، ثم انشاء دولة اسرائيل كضمان للممرات الإقتصادية فى المنطقة ثم حارس لنظام التجزئةوأداة قمع فى يد السيطرة الغربية ويراد لها فى المرحلة القادمة من خلال مشروع السلام والتطبيع الشامل معها أن تدعم النخب المغتربة وقيمها وأخلاقها فى بلادنا وأن تساهم فى السيطرة على أسواق المنطقة وثرواتها.

وهكذا يحدد الشقاقى آليات مشروع الهيمنة الغربية وأدواتها من التجزئة إلى إلى منع نهضة المنطقة سلماً أو حرباً، إلى إمتصاص الثروات بأكثر من طريقة ووسيلة، إلى إقامة دولة إسرائيل، ليس هذا فحسب بل إن الشقاقى يعود فيكشف آليات أخرى للهيمنة أكثر تعقيدا من خلال ضرب نظامنا الإجتماعى الذى حرس بلادنا لمدة طويلة متمثلا فى العلماء ونظام الحرف والأوقاف إلى إقامة أنظمة إجتماعية تابعة تحت شعار التحديث، ويرصد الشقاقى أيضا فشل المشروع النخبوى لأنه إعتمد على توفيق وتركيب مستحيلين بين موروثنا الفكرى وقيم أوروبا الجديدة وأنه غاب عن هؤلاء أن نهوض الأمم لابد أن يقوم على قيم أساسية أصيلة وأن أوروبا الجديدة كانت تحمل مشروعاً للاستعمار والهيمنة والسيطرة وأنها لن

تسمح لعالم الإسلام أن ينهض من خلال الاستعانة بها صناعيا واداريا وعسكريا ثم يرصد الشقـاقى مشروعا آخرا فاشلا وهـو مشروع ينادى بالتخـلى عن كل موروث والخضوع الكامـل لقيم الغرب ومنظـومته، ويرى الشقاقى أن هـذا الخيار يؤدى إلى انتهاء الأمة بأكملها وانقراضها حضاريا أو ثقافيا وربما بشرياً.

ويهتـم الشقاقى بابـراز كون إسرائيل جزء مـن مشروع الهيـمنة الغربى فـيرصد إدراك صناع الـقرار الأوروبيون فـى لندن وباريـس وفيينـا وبطرس بورج الأهـمية الجيوبولتيكية لقوى المتوسط الجنـوبى الشرقى أى مصر وفلسطين وأن تأمين المشروع الإستعـمارى يستدعـى تأمين المفـصل المصرى الفـلسطينـى ومن هنا بـدأت الدعوة لإقامة كـيان قومى للـيهود فى فلـسطين علـى يد رئيس وزراء بريـطانيا بالمـرستون، وذلك قبل نصف قرن من تأسيس الحركة الصهيونية.

وفكر فـى ذلك نابليون مـن قبل فى نهـاية القرن الثـامن عشر فى إطار مـشروعه الإستعماري.

ويرى الشقاقى أن التـبعية نظام متماسك، وأن من الضـرورى أن نعى أنه لايمكن تشبيـه نظام التبعـية بالحبال التـى تربط بلادنا بالخـارج، بل الأصح أن تشبه بـشبكات متداخلـة، والأكثر صحة أن نراهـا كشبكة من الأوعـية الدموية تمتـد فى كل أجزاء حياتنا وبلادنا وتتغدى من مائنا وهوائنا وتعـيش لصالح الغير، ولأنها شبكات متسعة متشـعبة عميقـة الجذور فلايمكن الـتخلص منـها دفعة واحدة أو فى عـقد واحد أو اثنين، وباعتبارها متصلة بالنظام العالمى كله، عالم سيطرة الغرب الأطلسى على آسيا وأفريقيا وأمريـكا اللاتينية وأوروبا الشرقـية وعلى مايسمى بالمؤسـسات الدولية فإن انجاز مشروع تقويضها لابد وأن يعتبر مشروعا عالميا.

وهكذا يصل الـشقاقى إلى أن مشروع الهضيـمة الغربى عالمي، ومواجهتـه ينبغى أن تكون عالمية، وهى دعـوة إلى إ قامة تحالف شعبى واسع وجماهـيرى يضم العرب والمسـلمين وكـل المستـضعفـين فى العـالم، وهـكذا فإن الـشقاقـى هنا هـو صوت المستضـعفين فى مواجهة مشـروع الهيمنة الغـربى وهو داعية إلى مايمكـن أن نطلق

عليه لاهوت تحرير إسلامى مقدم لكل العالم للنهوض والتحرر من الغرب لأن ثورة الانعتاق العالمى من الغرب لابد لها من جذر ثقافى لايكون من داخل المنظومة الحضارية الغربية وإلا كان تكريسا للتبعية وأجهاضا لحلم الثورة على الهيمنة الغربية، إذن فلابد أن يكون هذا الجذر هو الإسلام. الذى هو عالمى بقيمه وصالح نظريا بأيديولوجيته أن يكون جذراً ثقافيا للثورة العالمية التى تضم كل مستضعفى العالم.

ويؤكد الشقاقى على عد من الحقائق الهامة فى هذا الصدد فيقول " إن تماسك نظام التبعية يستدعى الوعى بأن عملية الأستقلال لابد أن تواجه دوائر التبعية جميعاً، كلاً على حدة ومعا فى الآن نفسه - وأن استقلالا سياسياً بدون التخلص من التبعية الثقافية وبدون نمط مستقل للتنمية سرعان ماسينهار تحت وطأة الضغوط وأن أى محاولة للاستقلال الاقتصادى ولإمتلاك ناصية القرار السياسى فى ظل دولة التجزئة سيكون ضربا من المناورة مع التاريخ كما أن محاولة إيهام الذات بأن الكيان الصهيونى محدود الخطر بمنطقة جغرافية وعلى شعب معين هو انحراف فى رؤية التاريخ والواقع على السواء إذ أن استمرار بقاء هذا الكيان خطر على الناس وعلى ثقافتهم وعلى خياراتهم فى التنمية والنهضة وأن مشروع الاستقلال فى النهاية هو مشروع تغيير ميزان القوى العالمى أى هزيمة نظام الهيمنة وإعادة دول المنظومة الغربية إلى حجمها الحقيقى ومساعدة شعوبها - سلماً أو حرباً - على التخلص من رؤيتها المشوهة لنفسها وللعالم، الرؤية القائمة على مركزية الغرب وعلى الثقافة العنصرية وعلى مفاهيم سيادة الرجل الأبيض. وهو يستدعى تحالفا عالمياً بين المظلومين، وأن يكون مشروع استقلالنا ذا ارتباط عميق باستقلال الشعوب الأخرى.

ويرى الشقاقى " أن المسألة الأساسية التى يجب على قادة الأمة وعلمائها وزعمائها أن يروها هى أن النهضة والاستقلال لايمكن أن يتحققا بمجرد نشر وعى وثقافة الاستقلال، وأن النهضة هى متغير على أرض الواقع وفى داخله ولابد أن تقترب الأمة وقادتها وزعماؤها من ملامح هذا الواقع بمثابرة واستعداد عميق

لتضحية وإيمان أوسع بأن ظهرها على الجدار، وكما ضرب النحات فى الصخر فإن كل متغير مهما صغر فى الواقع يأخذنا قدماً إلى مرحلة التشكيل المبدع فى صورته الأخيرة، ولكن وفى مراحل عديدة سيكون دمنا هو البديل عن عرق النحات".

ويهتم الشقاقى اهتماما خاصاً بالنظام العالمى للمبادلات الإقتصادية الذى يحقق أكبر قدر ممكن من النهب لصالح الغرب على حساب شعوب أمم وقارات ودول بأكملها، ويرى الشقاقى أن الغرب نهب العالم بإنتظام منذ الحروب الصليبية وحتى الآن حيث نجح الغرب فى استنزاف ثروات قارات ثلاث هى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، بما فى ذلك الثروات المادية والإمكانات البشرية والثقافية، وتكديس هذه الثروات فى الدول الصناعية الغربية، وأن النظام العالمى الجديد وبعد حرب الخليج بالذات - يستهدف مزيداً من النهب للدول الفقيرة عن طريق مجموعة من الآليات الاقتصادية مثل زيادة مديونية الدول الفقيرة، مزيد من الاستنزاف للثروات الطبيعية وتدمير البيئة، مزيد من الاحتضار للزراعة، وبالتالى المزيد من النزف السكانى للريف وما يتبعه من اكتظاظ مدينى هائل فى محيط بيئوى لايحتمل، مزيد من البطالة وتفشى الطفيلية، مزيد من الارتفاع فى معدلات التضخم، ومزيد من الاستقطاب الإجتماعى بين أقلية من السكان تستأثر بمعظم الدخل القومي، مقابل أكثرية متسعة تعيش تحت خط الفقر والجوع، مزيد من اضطرابات اجتماعية لاتنتهى حيث ستجد الأنظمة نفسها فى مواجهة مع الشعب وبالتالى تكون أكثر حاجة إلى الإعتماد على الغرب فى تأمين النظام واللجوء إلى مزيد من القمع والتبعية...

(٣)

عـــز الـــديـن القســـــام
وعـــز الــــديـن الفـــارس

يحلو لبعض الحركات أن تزعم أنها الحركة الأم، وأنها بالتالى هى التى بدأت مسيرة الحركة الإسلامية المعاصرة، وهذا بالطبع يوقع تلك الحركات ويوقع معها الأمة فى إشكاليات لاحصر لها بل وأحيانا تهماً بلا مبرر.

فإذا كانت تلك الحركات تزعم أنها حركة أم، فماذا كان قبلها، هل كانت أمة الإسلام جثة بلاحراك، لاحركة ولاطليعة مؤمنة ولاقيادة، وهل كل جهاد الأمة المعاصر ضد الإستعمار والاستبداد قبل تلك الحركات كان لاإسلامياً... إن معنى هذا أن الحركات والقوى والتيارات اللاإسلامية أصيلة فى واقعنا، وأن الحركة الإسلامية جديدة فى هذا الواقع ، وبالتالى من حق الناس أن تتساءل لماذا جاءت وكيف وأين ومن وراءها.. إلخ.

والصحيح أن الحركة الإسلامية المعاصرة ماهى إلا حلقة فى سلسلة الكفاح الوطنى الإسلامى ضد الإستعمار والإستبداد والتحلف والتبعية ، وهى إذن الإمتداد الطبيعى لجهاد وجهود عبدالقادر الجزائرى وعبدالكريم الخطابى والثعالبى وعمر المختار وعمرمكرم والأفغانى والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد وعزالدين القسام... وغيرهم من رواد حركة التحرر الوطنى ضد الإستعمار.

وهكذا فإن الصحيح أن الحركة الإسلامية حركة تحرر وطنى وليست دينا جديداً أو فرقة دينية جديدة، وكفاحها الوطنى إستنادا إلى الإسلام أمر ليس جديدا فكل الحركات والقوى التى ناهضت الإستعمار فى بلادنا والتى تصدت للغزوة الإستعمارية المعاصرة استندت إلى الدين وكانت إسلامية حتى النخاع، وكل من يطالع ويدرس حركات عبدالقادر الجزائرى والخطابى والثعالبى وعمرالمختار وعمر مكرم والأفغانى والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد وعزالدين القسام وغيرهم يدرك على الفور أنها إسلامية حتى النخاع وأن اسلاميتها كانت من البداهة وطبيعة الأشياء لدرجة لاتستدعى هؤلاء للتحدث عنها بإعتبارها شيئا متميزاً.

وهكذا فالحركة الإسلامية حركة أصيلة فى الواقع المعاصر وتمتد بجذورها إلى حركة الكفاح الإسلامى المعاصر ضد الإستعمار وهى حلقة من حلقات الكفاح تتبعها حلقات وهذا بالطبع يحقق لها الأصالة والتجديد معاً، ويجعلها نمواً طبيعياً

في جسد الأمة وليس زائدة دودية عليها مهما كبرت ويؤكد على ضرورة أن تتصرف هذه الحركة بمنطلق الطليعة وأن تتصدى لقيادة الأمة في كفاحها ضد الإستعمار والصهيونية وأن تعتبر نفسها مجرد خميرة للنهضة، والأمة هي المجال الحيوي لعمل الخميرة، مثل اللبن والخميرة، اللبن هو الذي يتحول إلى زبادي بالخميرة، ولكن الخميرة وحدها لايمكن مهما كبرت أن تتحول إلى زبادي، وهكذا فالأمة مثل اللبن والحركة مثل الخميرة.

ولقد وعى الشقاقي أنه وحركته وتياره مجرد حلقة من حلقات الكفاح الوطني، وأنه لايمثل رؤية دينية جديدة ولافرقة دينية جديدة ولاقديمة، وليس متميزا عقيدة وإنتماء عن الأمة، بل هو طليعة لها وخميرة لنهضتها وحركتها وهكذا استطاع أن يحقق أقصى وأوسع انفتاح على الجماهير ولم يكن التنظيم بالنسبة له بديلا عن الجماهير، بل أداة وطليعة لتثوير الجماهير وقيادتها وحشدها وتعبئتها ولذلك كان من الصعب والمستحيل إجتثاث هذه الحركة، إلا بإجتثاث الجماهير وهيهات.

كان لابد أن ترتبط هذه الحلقة بسلسلة الكفاح الإسلامي المعاصر ضد مشروع الهيمنة الغربي، وضد الكيان الصهيوني بالذات وعلى اعتبار أن الحركة فلسطينية، وقضيتها المركزية هي القضية الفلسطينية، كان من الطبيعي البحث في التاريخ المعاصر عن هؤلاء الذين فهموا القضية بصورة صحيحة. فهموها على أن إسرائيل جزء من مشروع الهيمنة الغربي وأن المواجهة مع الغرب كل الغرب ولسيت إسرائيل وحدها، وأن الطريق إلى ذلك لايكون إلا بتعبئة وحشد الجماهير الكادحة الفقيرة التي ليست لها مصالح مع الإستعمار ولاتخاف منه على مكاسبها وأموالها وتجارتها وأرضها ولاأوضاعها الطبقية، وأن الطريق للمواجهة ليس إلاعبر الكفاح المسلح، ولم يكن هذا منطبقا على أي من الحركات القائمة على الساحة في ذلك الوقت، كانت هذه الرؤية بالتحديد هي رؤية حركة بدأت في فلسطين ومارست نضالها منذ نهاية العشرينيات وحتى نهاية الثلاثينيات بوعي مبكر وإدراك فذ لطبيعة المعركة، كانت تلك هي حركة الشيخ المجاهد عزالدين القسام، ذلك الشيخ السوري الذي جاء إلى فلسطين ومارس فيها الكفاح المسلح ضد اليهود وإنجلترا على حد

سواء فـأحـدث بذلك نـقلـة نوعيـة فى الـوعى والحركـة الجمـاهيريـة الإسلامـية المعاصرة.

كان الـشقاقى قـسامياً حـتى النخـاع، ولكنـه أضاف وأبدع ولم يـقف عند لحـظة تاريخية بعـينها، بل تقدم إلى الأمام رابطـاً حركته بجذرها الصحيـح، ومتجاوزاً بها الآفاق ولعلنا الآن ندرك لماذا أختار فتحى الشقاقى اسماً حركياً ليوقع به على أعماله الفكرية فى بداية حركته وهو اسم عزالـدين الفارس، إنه أخذ هنا اسم عزالدين من عز الدين القسام وأضـاف إليه الفارس الذى يقود الفرس ليؤكد علـى طبيعة الجهاد والقتال والفروسية.

وعزالـدين الـقسـام عند الـشقـاقى هـو "الواجب المـقدس فـى صراع الـواجب والإمكان، هو روح داعية مـسئولة فى وسط بحر من اللامبالاة والـتقاعس، وهورمز للايمان والوعى والثورة والاصرار على عـدم المساومة". المختار الإسلامى العدد ١٣ يوليو ١٩٨٠.

يقول الـشقاقى " كان الـقسام عالمـا مؤمناً مسـلماً لايفتـر عن ترديد آيـات الجهاد والآيات التى تدعو إلى النضال والتضحية" وكذلك كان الشقاقى.

ويقول الـشقاقى أيضاً كـان القساميون يـلجأون فى النـهار إلى الكهوف يـصلون ويقرأون القرآن، وفى الليـل يخرجون إلى القتال، وأن القسام كـان يدعو إلى الجهاد علـى أساس دينى وكـان له شعـار واحد تنطـوى تحته كـل مفاهـيم الثورة "نـصر أو استشهاد"، وكان يرفع كتاب الله فى يد والبندقية فى اليد الأخرى، وأن إيمان القسام قد وصل إلى الذروة فـى تلك اللحظة التراجـيدية الخالدة، التى واجه فـيها قوة من ٤٠٠ إلى ٦٠٠رجـل بريطانـى هو وعشـرة من إخوتـه كانت المعـركة قد بـدأت فى الصباح واستمرت حتى الظهر وأثناء إحـتدامها حاول الغزاة إغراءه بالمال والوظائف حتى أنهم عرضوا عليه منصب نائب المفتى ولكن البطل المسلم أجابهم "لن نستسلم إن هذا جهاد فى سبيل الله والوطن" ثم التفت إلى رفاقه قائلا "موتوا شهداء".

ولعل تحليل الشقاقى لحركة عزالدين القسام ودراستها بهذه الطريقة الدقيقة تؤكد على وعى الشقاقى من ناحية ، وإضافته الثورية إلى التراث الثورى العالمى من ناحية أخرى، وتحدد ملامح وطبيعة حركته التى أنشأها مع رفاقه فيما بعد "حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين".

يقول الشقاقى " لم يكن القسام طوال مراحل نضاله مجرد مقاتل صلب وعنيد فحسب بل كان أيضا مفكراً داعياً يتمع برؤية ناضجة وواضحة على المستوى الإجتماعى والمستوى السياسى حيث خاض نضالا مستمراً قبل أن يخرج للقتال، أدرك القسام أن الأمة الجاهلة لن تستطيع أن تقاوم أخطبوطاً يسخر العلم لخدمة كل أغراضه، فكان القسام رجلاً عالما تولى التدريس فى المدرسة الإسلامية بحيفا وفى المساجد خاصة مسجد الاستقلال وكان ينشر أفكاره بين العمال والفلاحين والباعة الجائلين وكانت تجربته بتأسيس مدرسة ليلية لتعليم الأميين من الشعب تجربة رائدة على المستوى الإجتماعي، وأن القسام اهتم بالمرأة وحاول تطوير وعى النساء اللاتى كن على علاقة قوية بالتنظيم السياسى من أجل أن يصبحن عضوات عاملات ومنذ أن استقر القسام فى حيفا دخل معترك النشاط الإجتماعى فانتسب إلى جمعية الشبان المسلمين ثم انتخب رئيساً لها بعد ذلك، كما استغل فرصة عمله كمأذون شرعى فكان يحضر الأفراح للتعرف على الجماهير وفهم نفسياتهم مماسهل عليه الاتصال بسائر الطبقات.

وهكذا فإن الشقاقى يكتشف من خلال حركة القسام تلك العلاقة الجدلية بين العمل السياسى والعمل الإجتماعي، وكذا يكشف إلى من يتوجه بخطابه الجهادي، إلي العمال والفلاحين والباعة الجائلين، وإلى أن من الضرورى فهم نفسية الناس من خلال الإحتكاك بهم وفهم الخطاب المناسب لهم.

ويؤكد فتحى الشقاقى دائما على حقيقة بديهية - وهى "أن القسام أدرك أن هذه الأمة التى حاول أعداؤها عزلها عن الإسلام لن تكون مستعدة للجهاد بدون إعداد خاص وأن هذه المهمة لن تتصدى لها إلا طليعة ثورية مسملة وأن تنظيما صلبا

وفعالا ضمن نظرية ثورية واضحة المعالم من أهم عوامل الانتصار على عدو متقدم كما وكيفاً !!

ويطرح الشقاقى الكثير من رؤيته من خلال فهمه لآليات عمل القسام، أوقل يعطى تلك الآليات إطارها النظرى والمعرفى ويصيغ منها نظرية ثورية تصلح لكل حركة ثورية من قبل ومن بعد، فيرى الشقاقى أن من الصعب طرح مفهوم الثورة والوعى إلامن خلال علاقة جدلية بين الاثنين، وأن من الصعب دراسة الوعى والثورة منفصلين".

والحقيقة أن الوعى والثورة هما عمل واحد ، فالثورة تؤدى إلى الوعى والوعى يؤدى إلى الثورة، "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا".

ويرصد الشقاقى الكثير من الخبرات الثورية والحركية من خلال دراسة تجربة القسام فيقول "استطاع القسام فهم وتحليل المجتمع والظروف السياسية بشكل متقدم واستخدام هذا التحليل فى اختيار لحظة التفجير المناسبة فلم يكن متعجلا حين عرض عليه بعض إخوانه اعلان الثورة بعد انتفاضة حائط البراق لعدم كفاءة التنظيم وعدم نضج الظروف كما أنه رفض رغبة بعضهم فى جلب المال بالعنف مؤمنا ومعلنا أن الجماهير ستنحاز للثورة فور قيامها".

والشقاقى هنا يضع يدنا على الكثير من الحقائق الثورية، أولها ضرورة حساب اللحظة المناسبة للتفجير الثورى ذاتيا وموضوعيا، فالاستعجال بها هو بمثابة اجهاض لجنين الثورة، والتأخير فيها بمثابة ترك الثمار تفسد على الشجرة فلا يصبح لها قيمة بعد ذلك، وثانيها ضرورة التمسك بالأخلاق الثورية ورفض تبرير الوسائل اللاأخلاقية بدعوى الحاجات الثورية مثلاً، وثالثها ثقة الثائر المطلقة فى جماهير أمته.

ويضيف الشقاقى مكتشفا ومؤكداً للعديد من الحقائق الثورية والسياسية والحضارية من خلال القسام " رأى القسام أن بريطانيا هى العدو الرئيسى وأن الصهيونية تابعة لها، وأن النضال السياسى السلبى لم يعد يجدى نفعاً ولابد من اعتماد الكفاح المسلح أسلوباً للنضال".

والشقاقى هنا يؤكد حقيقة كون الصراع مع الغرب كل الغرب، وليس إسرائيل وحدها، وأن اسرائيل هى جزء من مشروع الهيمنة الغربي، وأن بريطانيا ممثلة مشروع الهيمنة الغربى فى هذا الزمان والمكان هى العدو الرئيسي، وأنه بسبب طبيعة الصراع، الذى هو صراع حضاري، وصراع وجود وصراع يستهدف قلب الأمة الإسلامية بل ورأسها، فإنه لابديل عن الكفاح المسلح، أسلوبا للنضال.

يضيف الشقاقى " كما كان القسام واضحاً وصائباً فى تحديد العدو فقد كان عليه أن يحدد الحليف الحقيقي، ورغم إيمانه أن العرب والمسلمين فى الأقطار المجاورة هم بعد إستراتيجى للشعب الفلسطينى إلا أن على الشعب الفلسطينى أن يعتمد على نفسه أولاً، ورأى القسام أن العمال والفلاحين هم أصدق حليف للثورة وللأستمرار بها ، ولهذا كانت القيادة العليا لتنظيم القسام تتكون من عمال وفلاحين علماء وبائعى جاز متجولين أمثال "العبدقاسم ، ومحمود عرورة" وأن القسام كرائد طليعى ثورى مسلم أدرك أنه فى مرحلة كهذه، مرحلة البحث عن الاستقلال والحرية فلابد من الدم والثورة التى لن يقدمها إلا الكادحين فى حين رفعت البورجوازية شعار الحكمة والتعقل.

وهكذا يكتشف الشقاقى أهم الدروس الثورية، التى بسبب غيابها وقفت الكثير من الحركات الإسلامية فى طريق مسدود ومأزق استراتيجي، ألا وهو عدم المراهنة على البورجوازية والوجهاء، لأنهم أولاً أصحاب مصالح ويقتسمون شيئا من الفتات مع مشروع النهب الاستعماري، ومهما كانت درجة إخلاصهم فإنهم فى النهاية سيخافون بشكل أو بآخر على مصالحهم العائلية أو الإقتصادية، وأنهم حتى ولو ارتفعوا فوق تلك المصالح فإن نفسهم الثورى قصير وقدرتهم على الاستمرار محدودة، وأنهم دائما يهربون من المواجهة الثورية بدعوى الحكمة والتعقل، وأنه بالتالى فلاحليف للثورة، ولاقادر على الاستمرار بها بنفس طويل لاينفد إلاالجماهير الكادحة من العمال والفلاحين والعلماء والباعة المتجولين، الذين هم يعكسون وجداناً اسلامياً عميقا أولاً، ثم ليست لهم مصالح تتقاطع أو تتعارض أو تتفق مع

المشروع الغـربي، لأنهم بالتـحديد أول ضحاياه، وهـكذا فإن هناك شروطـا محددة لأى عمـلية ثوريـة هى فهم طـبيعة الـصراع... وهى أن اسرائـيل جزء من مـشروع الهيمنة الغربى وبالتالى فالمواجهة شاملة لكل المشروع وقواه من استعمار وصهيونية وعلمانية.

وإدراك أن صراعـاً كهذا لايـحل عـبر المفـاوضات ولاالحلـول الوسـط ولادعوة التعقـل والحكمة، لأنه ليسـت هناك مساحة مـن الاتفاق والاختلاف تتسـع وتضيق يمكن التفاوض حولهـا، بل يحل بالكفاح المسلح، وأن جنود الثـورة وحلفاءها ليسوا البورجوازيه والوجهاء بل الكادحين والفقراء.

ولعل هذه الشروط تفـسر لماذا اسقطت كل القوى اللاإسلاميـة أو اللاجماهيرية فى مستنقع التفاوض والحلول الوسـط واحدة بعد أخرى، بل ويفسر التردد الموجود فى حركة حـماس بسبب مراهـتنها على الـوجهاء والبورجوازيـة أحياناً، ومراهنـتها على الـتنظيم دائـما، ويفسر لـماذا ظلت حركة الجهـاد الإسلامى الفلـسطينى بـيضاء الثوب من كل تردد وتراجع ومساومة.

وشـروط الاستـمرار وطـول النـفس ثـلاثة هـى الإسـلاميـة، الكـفاح المـسلـح، الجماهيرية.



(٤)

حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين
تجسيد للنظرية الثورية للشقاقى
حركة الإيديولوجيا والإرادة والدم

إنطلق الدكتور فتحى الشقاقى فى تأسيسه مع رفاقه حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين وكذا جهاده المستمر والدائب على هذه الساحة من مجموعة من الحقائق ومستقرئات العقيدة والتاريخ والإستراتيجية، فإسرائيل ليست إلا جزءاً من مشروع الهيمنة الغربى على العالم عموما والعالم الإسلامى والعربى خصوصا، وأنه لم تكن مصادفة أن يقدم الغرب وعد بلفور فى الوقت الذى كان فيه يدمر بنيان الدولة العثمانية ويجتاح المنطقة عسكرياً ويخضعها إلى شبكة علاقات قائمة على الإرتهان والتبعية وأن الغرب قد عمد إلى شن حربه الشاملة ضد الوطن العربى والإسلامى وتكريس القابلية للاستعمار فى نفوسنا وتدمير منابع القدرة الداخلية وذلك بتحطيم المكونات العقدية والفكرية والحضارية للمجتمع الإسلامى وتغيير أنماط المعيشة والإنتاج فيه بما يخدم مصالحه وتحقيق التبعية له وعمد الغرب إلى خلق مؤسسات موازية ومعادية لنا يديرها تلامذة له مأخوذين بثقافته، ولم تكن سوى محاكاة مشوهة وناقصة لمؤسسات الغرب فى سعى منه لتدمير العقل المسلم وحشوه بمفاهيم الغرب ليقطع كل طريق على عملية التفكير فى إعادة بناء المجتمع الإسلامى المقاوم، فمجرد تدمير المؤسسات الإسلامية مع بقاء العقل الإسلامى فى يقظة كفيل بمحاولة البدء من جديد وكفيل بنجاح المؤسسات الإسلامية مع بقاء العقل الاسلامى فى يقظة كفيل بمحاولة البدء من جديد وكفيل بنجاح المؤسسات الاسلامية من جديد وإعادة بنائها من جديد. وأن إسرائيل وجدت لتمارس وظيفة مستمرة دائبة هى ضرب النفسية المسلمة وتحويل ميدان الحركة الحقيقية إلى ميادين وهمية تستنفذ الجهد والطاقة، وقيام دولة اسرائيل أهم وأعنف وأخطر أشكال الحرب الغربية الشاملة ضدنا، وبقيامها واستمرارها فى القلب من الوطن الإسلامى تكون الهجمة الغربية قد نفذت أهم وأخطر مهماتها، فنحن هنا لا نواجه مجرد تحد عسكرى أو مجرد تحد فكرى وإنما نواجه تجمعا عدوانيا استيطانياً فى مكان هام وحساس من الوطن الإسلامى يعطى للصراع كل أبعاده التاريخية والحضارية والعقائدية والفكرية إضافة إلى الأبعاد العسكرية والسياسية والإقتصادية، ومع اسرائيل لم تعد ثقافة الأمة فقط هى المهددة بل وجودها برمته.

والدور الصهيـونى فى المنطقة ليس قـاصرا على فلسطين أو حتى دول المواجهة فقـط، بل إن اسرائيـل تعتبـر حدودها الأمنـية تشمـل باكستـان وإيران حتى شـمال إفريقـيا ومن تركـيا حتى جنـوب السودان وتعـتبر إسرائيـل كل مابين ذلـك - على الأقل- قابلاً للتدخل الصهيونى إقتصادياً وعسكرياً وأمنيا.

وهكذا فالمعـركة مع اسرائيل معركـة الأمة كلها بطاقاتـها وبفكرتها الشـاملة عن نفـسها وعن الآخـر، إذ عندما تـعتقـد الأمة بقدراتـها واستـعدادها النـفسين عـلى مواجهـة الآخر والإنفكاك من أسـر تبعيته والإرتـهان له، تبدأ فـى تحقيق إستقـلالها السياسـى وتنهض فى الوقت نفـسه لمعركة تحرير فـلسطين، إنطلاقاً من أن فـلسطين هى القضية المركزية للأمة الإسلامية حيث استطاع الإستعمار الغربى الحديث الذى أطلقته الحملة الفـرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر، استـطاع بعد حوالى قرنين من الزمن أن يـنـشئ الكيان الصهـيونى الذى أصبح مركز الـهجمة الغربيـة ضد الوطن الإسلامـى ، ومركز المشـروع الإستعمـاري، ومن هنا فـإن فلسطـين تأتى فى قـلب ومركز المـشروع المضاد الاسلامـي، فالمعركـة ليست فقـد بين الشعب الـفلسطـينى والكيـان الصهيـونى بل معركـة كل الأمة ضد الـغرب المستعـمر الذى يمد الـكيان الصهيونى بكل أسباب الحياة والرعايـة والحماية، وبدون إنتظام طاقة الأمة فى طريق ونهج موحد فسيبقى الخلل فى توازن القوى قائما ومستمراً لصالح العدو، ومن هنا تأتى أهـمية استـقلال القرار السـياسى والقـضاء على جـذور ومنابع التـبعية بـكافة أشكالها، ونظم مفردات قوة الأمة التى تكـمن فى هذا العدد البشرى المتعاظم وهذا الموضع الجغرافـى المتميز والإمكانات المـادية الهائلة، إضافة إلـى التاريخ والموروث الحضـارى الإسلامى المسـتند إلـى أيديولوجـية حية بـاعثة، قـادرة على بعـث الأمة وتفجير إمكانياتها ونظمها فى كينونة فاعلة ومؤثرة .

وهكذا فـإن مسألة تحرير فـلسطين - عند الـشقاقى - هى مـسألة مشروع ينـتظم إمكانـات الأمة ويرد علـى حرب الغرب الـشاملة بحـروب شاملة ثـقافية وفـكرية واقتصادية وأمـنية وعسكرية، ويبقى دور المجـاهدين فى فلسطين وهو إحـياء فريضة الجهـاد ضد العـدو ومشاغـلته واسـتنزاف طـاقاتـه وكشف وجـهه البـشع وتدمـير

مايستطيعون من قدراته وإدامة الصراع حيا حتى وحدة الأمة وتحقيق النصر، والتصدى لمؤامرات تصفية القضية التى يوجهها الغرب.

إذن فالمعركة حضارية وشاملة، وإسرائيل جزء من مشروع الهيمنة الغربي، والمعركة ضدها هى معركة كل الأمة، وليس تنظيما أو جماعة أو حكومة، وبالتالى فإن هناك عدة شروط لإستمرار وديمومة ونجاح أى عمل جهادي، وهذه الشروط هى الإسلامية والكفاح المسلح والجماهيرية، ولاشك أن حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين امتلكت هذه الشروط وبقدر استمرار تمسكها بها بقدر استمرارها ونجاحها التكتيكى والإستراتيجى، وأهداف هذه الحركة كما حددها الشقاقى مرحليا واستراتيجياً، مرحليا هى إحياء فريضة الجهاد ضد العدو، ومشاغلته واستنزاف طاقاته وكشف وجهة البشع، وتدمير ما أمكن من قدراته، والتصدى لمؤامرة تصفية القضية بمشاريع التسوية التى يوجهها الغرب، واستراتيجياً تحرير فلسطين، كل فلسطين والانتصار على مشروع الهيمنة الغربى بكامله، وتحقيق الانعتاق لكل مستضعفى العالم من ذلك النهب والقهر والهيمنة الغربية.

ولكن لماذا حركة الجهاد الإسلامي، ألم تكن الأطر القائمة من أحزاب وجماعات وحركات إسلامية أو وطنية صالحة لتطويرها والعمل من خلالها، بالطبع لا، لأن تلك الأطر إما فقدت إسلاميتها، وإما مارست إسلاما شكليا، أو لم تفهم طبيعة الصراع ولم تعط قضية فلسطين حقها وحجمها الصحيح، وإماكانت حركات لاتستند إلى الجماهير بقدر ماتستند إل التنظيم، وقدرة التنظيم إلى نفاد والمحافظة عليه تجعل قيادات تلك الحركة تمارس نوعاً من الوسطية والمساومة أو السكوت، وفى قضية مركزية مثل قضية فلسطين لابد من المبدأية الكاملة ولو على حساب التنظيم ولابد من المواجهة المستمرة وبلا حدود لأن الأمر يخص أمة وحضارة وتاريخ وجغرافيا ووجود.

وهكذا كان لابد للشقاقى ورفاقه - مع هذا الظرف - أن يضربوا بجذورهم نحو القسام وأن يقيموا كيانهم المتميز كشاهد على المرحلة وأن يتجاوزوا الأطر المنهارة والمتراجعة وطنية أو إسلامية، وهكذا لم يكن هناك بديل من إنشاء حركة الجهاد الإسلامي.

ولنترك الدكتور الشقاقى بنفسه يجيب على عدد من الأسئلة حول الحركة، عن الارهاصات والمخاض، التاريخ والإيديولوجيا، التيار والتنظيم، عن الحلم المشروع والمستقبل.

فالحركة - كما يقول الشقاقى - " لم تخرج من "فتح" رغم أن بعض عناصرها عاشوا التجربة الوطنية، بكامل أبعادها، كما لم تخرج من "تنظيم" الإخوان المسلمين - رغم أن بعض كوادر الحركة عاش التجربة الإسلامية مع الإخوان - ويضيف الشقاقى ولكن التجربة الإسلامية المعاصرة والمناخ الدينى كانت من أهم العوامل المؤثرة أو لنقل كانت بمثابة "المحضن" للحركة، وأنه رغم عمق التجربة الإسلامية وتأثيرها الهام، ومع إطلالتنا على التجربة الوطنية إلا أننا لم نكن إمتداداً أو إنشقاقاً تنظيماً لأحد أو عن أحد ولم يجتمع عشرة أو عشرون من مثقفى الطبقة الوسطى ليشكلوا حزبا فوقيا، لم نكن جبهة شعبية تخرج من حركة القوميين العرب ولافتح تخرج من رحم الإخوان المسلمين وبقايا الأحزاب الوطنية، كان جيل البعث فى الحركة الإسلامية المعاصرة الذى جاء دوره بعد غياب شمس الخلافة الإسلامية (١٩٢٤) وتبلور منذ عام ١٩٢٨ يؤدى رسالة تيار وتنظيم ولكنه بعد استشهاد البنا يتحول إلى جيل المحنة وبعد نكبة صيف السابع والستين وسقوط بيت المقدس ذلك السقوط المدوى والزلزال فى تاريخ الأمة وواقعها ووجدانها، يتشكل شيئا فشيئا، الجيل الثالث جيل الوعى والثورة ليواجه التحدى بعد سقوط البدائل، من عذابات هذا الجيل جئنا، ومن بين أنقاض الزلزال، كانت ليالى الحلم القاسية كان السؤال الفلسطينى محور اللغز الذى كان علينا أن نفك طلاسمه بكينا وصرخنا.. تصدعت رؤوسنا.. كما نبنى حرفا فوق الحرف حتى تكتمل اللقطة لنبكى من جديد فرحا فى لحظة الكشف والوصل والتقاء التاريخ بالمطلق فوق بيت المقدس، لم نأت من السياسة إلى الإسلام ولم نأت من فلسطين إلى القرآن، ولكن الذى حدث أننا وفى ذروة المعاناة وفى أشد الفكر والجهد والعذاب، فى لحظات وجد ودعاء كنا فيها الأقرب إلى الله.. شاهدنا فلسطين، شاهدناها فى قلب القرآن.. شاهدنا رحلة الإسراء ذات الساعات القليلة، صورة الهية لتاريخنا الممتد ألف وأربعمائة عام من

مكة والمدينة إلى بيت المقدس ، من محمد صلى الله عيه وسلم والقرآن ينزل إلى محمد صلى اله عليه وسلم والقرآن قد اكتمل منهجاً قويماً وفاعلاً، من بنى قريظة إلى الليكود، من حراء إلى كامب ديفيد، من وعد الأولى إلى وعد الآخرة، من جاسوا خلال الديار إلى ليسؤوا وجوهكم، من القرآن إلى القرآن. تعانقنا، صرخنا من الفرح، بدا كل شيء بعد ذلك مجرد وقت، فقد اكتشفنا كلمة السر، لم نكن وسطا حسابيا بين الإسلام والوطنية لم تكن الوسط الحسابى ولكنه الجدل الممتد من المطلق إلى التاريخ من القرآن إلى فلسطين، الجدل الذى لايعرف فواصل العجزة، لم تكن الرحلة سهلة، الرحلة كانت مسكونة بالألغام وبالأشواك ولكن زادنا من الإيمان والثقة جعلنا دوما ضد اليأس "إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون". "ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون".

وضد الخوف

"الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل"

وضد التراجع

"ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين".

ويضيف الشقاقى « نحن حركة لايمكن أن ترتهن لغير الله ولغير المشروع الإسلامى الواعد والمستقل عن كافة الإشكال الغامضة أو البنى المنهارة، ولأننا أدركنا بأن الأمر مجرد وقت وأننا نسابق الزمن فقد حفرنا الصخر بأظافرنا وجوعنا وفقرنا، حتى أن كثيرين سيعجبون كيف تحول الحلم إلى واقع سياسى مؤثر يتنامى كل يوم فى غياب الإمكان المادي، رغم الفتنة والإغراءات، ولكنها بركة الأيديولوجيا والارادة والدم.

ويقدم الشقاقى المزيد من التحديد والضوء على حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين قائلاً " فى زمن الغياب كنا نحلم بعودة الإسلام إلى دوره التاريخى فوق أقدس الساحات ، فى بيت المقدس واكناف بيت المقدس كان خيارنا أن نكون رأس

حربـه ضد المشـروع الإستعـمارى الصـليبـى الصهـيوني، وأن نـنتشـر فوق أرض الاسراء والمعراج كقـدر إلهى يحمل منهـجا واضحاً محددا لفهـم الإسلام والعالم والواقع وأن نعيد صياغة الأشياء ضمن نظرية ثورية واضحة المعالم ".

ويؤكد الـشقاقى عـلى البعـد الجماهيرى فـى الحركة من خـلال تجربتهـا فى هذا الصدد ومـدى ثقته فى الجـماهير قـائلا « لقد استـطاعت الحركة مـبكراً أن تلـتحم بالجماهير وأن تكتشف عظمة هذه الجماهير وبالمقابل كانت الجماهير تكتشف صدق الحركة ومصـداقيتها واستـعدادها للتفـانى والتضحيـة، وقد تميزت تلك الـفترة من عمر الحـركة بالنشـاط الجماهيرى والقـبول الإعلامى والسـياسى المكثـف ووصلت بذلك إلى المساجد والبيوت والشوارع والمـدارس والمعاهد والجامعات والجمعيات والمؤسسات والـنقابات واستطـاعت تشكيل تيـار إسلامى جماهيـرى جهادي، وهى تحاول رسم ملامح المرحلة القادمة والخروج من حالة الغياب الإسلامى المذهل على الساحة الفلسطينـية عبر عقود الخمسينات والستينات والسبـعينيات إلى التماس فى صراع مباشر مع الظاهرة الإسرائيلية عبر شعارها الإستراتيجى « القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للحركة الإسلامية المعاصرة »، هذا الشعار الذى بدأ غريباً على أسماع الـبعض ولكنـه تحول فى شهـور قليلة إلـى تيار جهادى يـتشكل فـى الشارع الفلسطينى المتعطش للإسلام المجاهد».

والشقاقى هنا يكشف بوعى عن عدد من الحقائق ، وهى أن الغياب الإسلامى عن الساحة الفلسـطينية طوال ثلاثة عقود هى الخمـسينيات والستينيات والسـبعينيات لم يكن بـسبب رفض الجماهير لذلك بل إن الجمـاهير فى الشارع الـفلسطينـى كانت متعطشة للإسـلام المجاهد وهذا بديهى بالطبع، إذن كان العيـب فى التيار الإسلامى بالطبع وعندما حمل هذا التيار الشعلة واسـتخدم شعاراً صحيحاً والتحم بالجماهير كانت النتـيجة مذهلة، ومن الطبـيعى أن تكون مذهلة فالجـماهير بطبيعتـها وجدانها إسلامى وحسـها إسلامى ووعيهـا إسلامى حتى النـخاع، وهى ماغابت ولاتـخلفت لحظة عن حركة إسلامية صادقة ومجاهدة وتثق فى الجماهير.

ويرصد الدكتود الشقاقى العديد من العمليات الجهادية والنضال السياسى اليومى لحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين طوال الثمانينيات وحتى اندلاع الإنتفاضة الفلسطينية فى ٦/ ١٢/ ١٩٨٧، وأن تلك الإنتفاضة كانت تتويجا لجهود ونضالات طويلة.. وإن كان الدكتور الشقاقى - بسبب تواضعه وأدبه - لم يقل أن نضالات أبناء حركة الجهاد الإسلامى فى طول الوطن المحتل وعرضه كانت السبب الحقيقى لإندلاع الإنتفاضة أولاً، ثم لاستمرارها ثانياً، لأن الحركة استطاعت أن تعطى مضموناً واعياً وجهاديا لحركة الشعب الفلسطيني، وأن الحركة كانت تمتلك الالتحام الجماهيرى والأدوات السياسية القادرة على تفجير الإنتفاضة وتصعيدها إلا أن الحقيقة أن الإنتفاضة الفلسطينية فى أكتوبر ١٩٨٧ كانت ابنة شرعية لنضال حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين وأن الآخرين كل الآخرين قد لحقوا بمؤخرة القطار عندما أقلع بالفعل وهذا بالطبع يرجع إلى أن أى حركة أخرى - ليست جماهيرية بالضرورة ولاتستند إلى الجماهير بل إلى تنظيم مثلاً، يمكن أن تنظم مهرجاناً حافلاً ناجحاً أو مظاهرة واحدة أو اثنين منظمة وبراقة ولامعة وكبيرة ولكنها لاتقدر على الإنتفاض الشعبى المستمر، لأن هذا من شأن القوى التى تثق فى الجماهير وتلتحم بها وتعتبرها مادتها الأساسية فى الصراع، وهذا بالتحديد لاينطبق إلاعلى حركة الجهاد الإسلامى وبديهى أن الإنتفاضة - كما يقول الشقاقى « لم تكن إلامرحلة فى نضال طويل وشاق وشرس وأن الجهاد المسلح هو الطريق الأكيد لتفكيك هذا المشروع الصهيونى الإستعماري».

وفى الحقيقة فإن حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين مارست قبل الإنتفاضة وأثناء الإنتفاضة وبعد الإنتفاضة هذا الجهاد المسلح، ونفذت كوادرها عشرات العمليات الإستشهادية ضد العدو الصهيوني، واستطاعت أن تنزل به خسائر فادحة أفقدته صوابه.

والشقاقى وبسبب الوعى والاخلاص والتجرد، ورغم أنه مؤسس حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين فإنه لايجعل منها صنما يعبر من دون الله، ولايجعلها حركة أم أو أولى أو أخيرة، بل حلقة من حلقات الكفاح الإسلامى سبقتها حلقات، تتبعها

حلقات، والاسم والإطار التنظيمى ليس بالطبع شيئا خالدا مقدسا، ولكن العقيدة والهدف هما الثابتان وغيرهما بالضرورة متغير... ويرى الشقاقى أن حركة الجهاد الإسلامى قد شرفها الله بأن جعلها نواة للعمل الإسلامى الجهادى فوق أرض الرباط، ولكن هذا الشرف العظيم الذى جاء فى ظرفه التاريخى ومرحلته التاريخية لايعنى إحتكار حركة الجهاد الإسلامى للجهاد فى فلسطين ولاتفردها وحدها على هذا الطريق المقدس، فالحركة فى نفس الوقت الذى شكلت فيه نواة للعمل الإسلامى الجهادى كانت امتداداً وجزءا من حركةاسلامية أوسع وأكبر كان لها دورها الريادى فى اخضرار الساحة الفلسطينية بالإسلام وهكذا فحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين لاتمثل كل الساحة الإسلامية وإن كانت رافداً منها وإليها، وكونها نواة تاريخية، فى هذا الظرف والمرحلة التاريخية، للعمل الجهادى فى فلسطين يجعلها فى طليعة المجاهدين الذين يتكاثرون يوماً بعد يوم، ولكنه لايعطيها بالضرورة أى حق للتمايز. عن الآخرين فهى جزء منهم يتعاظم ويكبر بهم، وبقدر الإيمان والتقوى والألتزام والقدرة والأهلية والاستعداد والإرادة يأخذ كل دورة فى ساحة الجهاد على أرض الرباط، وكونها نواة تاريخية مسألة تاريخ وظرف تاريخى لاأكثر، وهى مستعدة لأن تسلم قيادتها لكل مجاهد قادر ومخلص بدون تمايز الزمان والمكان أو الأسماء، تسعى لوحدة كل المجاهدين على درب تحرير فلسطين تحت راية الإسلام العظيم، ومسألة الوحدة بالنسبة لها ليست مسألة تحالفات صغيرة أمام ظرف كبير ، إنما هو إلتزام شرعي، آثم من يتنازل عنه، وقضية استراتيجية جاهل من لايستبعدها أو يستبعد أهميتها، وبقدر مانقترب من الوحدة بقدر مانقترب من الله ومن الإنتصار.

(٥)

المرأة فـــى المشـروع الفـكرى
والحـــركى لفتحى الشـقاقى

استطاع الدكتور فتحى الشقاقى فكراً وممارسة أن يحل الإشكالية المعروفة لدى الحركة الإسلامية المعاصرة حول قضية المرأة من خلال طرح أصولى ومعاصر ومجاهد فى نفس الوقت، فهو يرفض إستلاب المرأة لقيم الغرب وثقافته ويرفض حبسها فى قمقم التخلف فى نفس الوقت، بل يدفعها إلى الأمام لتأخذ دورها كإنسانه مسلمة، وكمناضلة طليعية فى الصف الإسلامى وكمسئولة عن حركة الاحياء الإسلامى والجهاد فى سبيل الله من أجل قضايا الأمة وتحدياتها.

وفى هذا الإطار استطاع فتحى الشقاقى أن يدخل مفاهيماً تجديدية وجهادية فى أشد الموضوعات تقليدية تأكيداً للثوابت وإنطلاقاً للآفاق.

فالمرأة عند فتحى الشقافى « تقف شاهدة على عصرها، فى كل أزمان التحول العظيمة التى تحياها الأمم، وهى تراقب وتشارك وتسجل، وهى ترفع يدها فى وجه الظلم والخوف والقهر، وتنتمى إلى الحقيقة، والأصالة والثورة فى وقت واحد، طوبى لمن تأتى غداً بالحجاب ـ المختار الإسلامى- العدد الأول - ص٤٦ » وتراثنا المشتعل خصوبة وحياة لم يتوقف يوما عن صنع النماذج ، ركبا تلو الآخر، وإمرأة تلو الأخرى على خطى محمد صلى الله عليه وسلم وتحت ظل راية القرآن ، ورغم شراسة حملات الغزو الفكرى التى يقودها الاستعمار خلف مكبرات الإذاعة وشاشات السينما والتلفزة، رغم كل هذا فإن جيلاً يتكون الآن وتحت ظل التحديات القائمة أكثر صلابة ووعيا بحقائق الأمور، وماظاهرة الحجاب الذى بدأ يكسو أرضنا الطيبة إلا رمزا لهوية هذا الجيل الذى نفض عن نفسه غبار التفتت والإنفصام والأزدواجية، واختار العودة إلى الله، والحجاب ليس شكلاً تعبدياً فقط كما يتوهم البعض ولكنه مسألة هوية واكتشاف للذات بعد طول سقوط وضياع فى مجاهل التغريب اللعين، لقد فرض علينا الأستعمار ملابسه وجاء لنا ببيوت أزيائه لكى تستعبد اشياؤه هذه نسائنا وفتياتنا، كى نلهو بعيداً عن قضايانا الحيوية ولهذا كان الحجاب ويجب أن يكون قضية وطنية فى غاية الأهمية، أنه رفض لروح الأستعمار ومخططاته، أنه رمز لوعينا لطبيعة الصراع رمز لإصرارنا على مواجهة التحدى ورمز لرفضنا نهب ثروات بلادنا والعبث بمقدساتنا - نعم هكذا الحجاب

- وهكـذا يجـب أن يكـون انحيـازاً واع ومقـدس إلى مـعسكـر العـدالة والحـرية والعدل، انـحيازاً إلى مـعسكر مـحمد بن عبـدالله صلـى الله علـيه وسلم واتـباعه الكرام ونـبذ لمعسـكر الطاغـوت وأوليائه» طـوبى لمن تأتـى غدا بالحجـاب - المختار الإسلامى - العدد (١) يوليو ١٩٧٩ ص٦٤.

وهكـذا فالحجـاب عودة إلى اللـه ثم إنه أيـضا مسـألة هوية واكـتشاف لـلذات، ورفض للتغريب، ونضال ضد الإستعمار ورمز للوعى بطبيعة الصراع.

والمرأة شاهدة على العـصر، تناضل وترفض الظلم والقهـر والخوف وتنتمى إلى الأصالة والحقيقة والثورة.

ويرصد الدكتور فـتحى الشقاقى النضال الـسياسى للمرأة المسلمـة المعاصرة من خلال تجربتين هما ثورة ١٩١٩ فى مصر، والـثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩ قائلاً «هكذا الحجاب لـيس شكلاً نتـعبده، ولكنـه هوية وقضيـة ووظيفة فعـندما اشتعـلت ثورة ١٩١٩ نزلـت السيدة المـصرية إلى شـوارع مصر متـسربلة بـالحجاب لبـاساً للعـفة والثورة لتهتـف للأستقلال وتبصق على وجـه المحتل القبيح، وعندما اشـتعلت ثورة الإسلام فى إيران وقف العالم مشدوها وهو يرى السيدة الإيرانية تهبط من جبال قم وشيراز ومشهد وتبـريز إلى شوارع طهران رافعة يدها فى وجه الـعسكر والكلاب واحتكارات الدول الكـبرى، ووقف العالم مشدوها وهو يرقب الـنور يأتى من وجه السيـدة الإيرانية المتـسربلة بالحـجاب ليمتـد ويمتد ويبدد ظـلم هذا الكون المـملوء بالليل. نفس المقال السابق.

وفى أطروحـة فكرية شديدة الأهـمية تحت عنوان « المـرأة المسلمة تيـار جديد .. مـهام جـديدة » المختـار الإسـلامي، الـعدد (١٠) ١٤أبـريل ١٩٨٠ يـحذر فـتحـى الشقاقى المرأة المسلمة من المؤامرة الإستعمارية عليها بهدف تبديد اسلامها وابعادها عن قيمـها الأصيلة واستـلابها لصالح مـنظومته الفـكرية والحضارية. ويـرى فتحى الشقاقى أن تدميـر اسلام المرأة هو تدمير لمستقبل الإسلام، ويرى فـتحى الشقاقى أن قاسم أمين كان آخر درجة فى سلم الأنحدار فى ذلك الوقت ذلك السلم الذى بدأه

الطهـطاوى منبـهراً بالغـرب وحضارته وتـلاه محمد عـبده متراجـعاً أماما مـاسمى بالهجمة العلـمية الغربية محاولاً التوفيق بين الإسلام وقيـم الغرب الحديثة ثم تلاه جيل بأكمله من المـهزومين أمام الهجمة الغربية على الـوطن الإسلامى ومن تلامذة التبشير والإستشراق ومن أبناء الأقليات غـير الإسلامية، جيل عديد متعدد الأسماء طويل يمتـد إلى عصرنا هذا وكـان من أبرز رجاله لطفـى السيد وطه حسـين وشبلى شميل وفرح أنطون وبطرس البستانى وآخرون »..

كان بـروز قضيـة المرأة إذن أحد أهـم دلالات سقوط النـظام السـياسى لـلإسلام بسقوط الخلافة الإسـلامية، ثم ثم ضغط الهجمة الـعلمانية الغربية ومـؤسساتها فى الوطن الإسلامى وتلامذتها الأوفياء.

ويؤكد الدكـتور فتحى الشقـاقى على أن الإسلام يهـتم بتعليم المـرأة، ومن يقول غير ذلـك جاهل أو متآمـر. وأن الهدف التغريـبى فى قضيـة المرأة لم يكن تحـريرها ولاتعليمها بل كان الهدف شئ آخر تماما ولقد كان الهدف هو أن تفقد المرأة أنوثتها ثم إنسـانيتها وكـرامتها ودينـها وينتهـى الأمر بتدمـير البيت المـسلم والنشء المـسلم والمجتمع الإسلامى بأكمله.

وإزاء ذلك كله كان لابد للمرأة المسلـمة أن تقف وتواجه هذا الإرهاب الفكرى وتلك الهجمة الإستعمارية العنيـفة، أن تقف المرأة المسلمة كواقع حى واع فى وجه الهجمة الغربية وظواهرها الإجتماعية، لاموقف المتراجع المهزوم المدافع وإنما موقف المستوعب للتاريخ، الواعى لقضية الإسلام المتقدم لازاحة تلال الخراب، لقد انتهت تلك القـضية الزائفة التى روجـوا لها أكثر من نصف قـرن. انتهت مايسمى بـقضية تحريـر المرأة بالأسـلوب التـغريبـى أو هى عـلى وشك الإنـتهاء فـالواقع الإسـلامى سيفرض قيما جديدة وسائل جديدة وأهداف جديدة.

والمرأة المسـلمة عنـد الشقافى هـى امرأة منفـصلة عن قيـم الطبقـة وعن أهداف الطبقه وعـن سلوك الطبقة ، فقيـمها هى قيم الإسلام وأخلاقـها هى أخلاق الإسلام

وأهدافهـا هى أهداف الحركـة الاسلامية، وأن الإنـتماء الحقـيقى إلى الإسـلام يبدأ أولاً بالإنفصال عن القيود التى تقام حولنا ضمن الطبقة التى ننتمى إليها.

والمرأة المسلـمة عند الشقاقى هـى التى تتحرر من قـيم الجاهلية ومفاهـيم الغرب والإقتراب أكثر من أهداف الحركة الإسلامية المعاصرة وممارساتها وهى أهم تيارات الحركة الإسلامية المعاصرة وعليها أهم مسئوليات تلك الحركة.

ويحدد الـدكتور فتحـى الشقاقى مهـام المرأة المسلمـة فى ظل الحركة الإسـلامية المعـاصرة بأن علـى المرأة المسلـمة ألاتبرر مـوقفها أو تحـاول تخفيـف وقع التزامـها واسلامهـا على الأخريـات أو التنازل لهـن، بل إن غير الاسلامـيات هن المطـالبات بتبرير موقفهن ومحاولة تغييره والإنضمام إلى الحركة الإسلامية وقيمها وتصوراتها لا العكس.

وأن علـى المرأة المسلـمة أن تعـى قضية الـتحدي، وتاريـخها، عـليها أن تـعى أن الغرب وقف أمامنا فى وقـت كنا فيه أكثر تخلفا على النـطاق المدنى منه، وفى وقت كنا فـيه ابتعدنـا إلى حد ما عن أصـالة إسلامنا، وأمام انـبهار بعضـنا بتقدمـه المدنى استطاع أن يقدم لنا أخـلاقه وسلوكه وقيمه وركز تركيزا شديدا عـلى المرأة المسلمة لإدراكه بأن تدمير إسلام المـرأة هو تدمير لإسلام المستقبل، وأن فهـم قضية التحدى هو أولى الخطـوات لتجاوز الهجـمة، وأن على المرأة المسـلمة حيث تقـف أن تكون ضد السياسات التربوية والتعليمية غـير الإسلامية وأن تكشف زيف المناهج التربوية والتعليـمية الغربية التـى استقرت داخل مجتمـعاتنا وهذا أهم مجالات الـتغيير، إن المرأة المسلمة كأم والمرأة المسلمة كمدرسة بالذات أمامها تحد كبير لرفع الإسلام فى وجه العـلمانيـة بكل اتجاهـاتها القـومية والوطـنية والاشتـراكية، لأن ذلك هـو أهم الوسائل لبناء نـشء إسلامي، والمرأة المسلمة عليها أن تقـف مع الخيارات الإسلامية فى مجال العمل فلا تختار إلا مايقبله الإسلام ومايجعلها بعيدة عن الشبهات فذلك هو الوسيـلة أمامنا لهـز المؤسسات غير الإسـلامية القائمـة وعليها فى نـفس الوقـت ألاتهمل بيـتها فهو مهمتـها الأصلية نحو تغيـير ملامح المجتمع فمـن منزل إسلامى

إلى منطقة إسـلامية إلى مجتمع إسلامي، والمـرأة المسلمة مطالبة بأن تـتقدم بقوة إلى مجالات العمل الإجتماعى الإسلامى فحين تحاول التقدم لإزاحة الركام الطويل من القيم والمفاهيم والمؤسسات والإتجاهات غير الإسـلامية علينا ألا نترك لهم مساحات العمـل الإجتماعـى فارغة، إن مجالات مـحو الأمية الـكتابية والـثقافيـة ومجالات القوافل الريفيـة ومجالات مكافحة الفقر فى الأحياء والمدن والـقرى كلها ضرورية لإقتراب المرأة المسـلمة من الجماهير وآلامها تـمهيدا لترشيدها ووضعـها فى الصف الإسلامي.

ويلخص الدكتور الشـقاقى رؤيته لمهام المرأة المسلمة قائلا «المـرأة المسلمة هى أهم تيارات الحركة الإسلامية المعاصرة، ونحو مزيـد من الوعى لمشكلاتها ودورها عليها أن تبقى فى تفاعل مستمر مع إطارات الحركة الإسلامية المتقدمة إلى الأمام.



(٦)

التجديد عند فتحي الشقاقي
زهور جديدة على نفس الشجرة



التجديد سنة مـن سنن الله تعالى فى الكون والحياة، وجسم الإنـسان مثلا تتجدد خلايـاه بإستـمرار، فتـنشأ خـلايا جديـدة وتموت خلايـا قديمة - الـلهم إلا الخـلايا العصبيـة - ولكن هذا التجديد يتم مـن خلال الكائن الحى نفسه ومـن داخله ويظل هذا الكائن الحى هو ذاتـه وليس شيئا مغايراً ولاممسوخا، أى أن الجسم الحى الكائن متـكامل يسـتخدم عنـاصر الماء والغـذاء وغيرهـا فى عملـية تجديد مـستمر لخـلاياه وأنسجته أى أن الـتجديد يأتى من خلال هضـم العوامل الخارجية واستـخدامها فى عملية تجديد داخلى بحته.

والتـجديـد شرط من شـروط النـهضة والإبـداع الحضـارى ولكن اسـتنـادا إلى الثوابت وإنطلاقا منها وفى إطارها.

والدكتور فتحى الشقاقى وعى هذه الجدلـية ومارسها فكرا وحركة، فهو أصولى حتى النخاع وهو أيضـا مجددكبير، ولاتناقض فى هذا بالطبـع، فالتجديد الإسلامى يكون إنـطلاقا من الأصـول الإسلامية الـدينية والحضـارية الثابـتة وإلا كان تخـريبا وإغترابـاً وإذا اقتربـنا من فلسفة الدكتور الـشقاقى التجديدية نجده صـاغ المسألة على نحو عبقري، ففى تقديمه لسلسلة دراسات تحت عنوان «نحو طلائع إسلاميه واعية» قال الدكـتور الشقاقـى » يجب أن نواجه قضـايانا بالتـزام لاينفصم عـن أصول هذا الدين وبروح تجديدية بـاسلة ومؤمنة فى وقت واحد». العدد (١) من سـلسلة نحو طلائع إسلامية وعية - إصدارات دار المختار الإسلامى - القاهرة.

وهكذا فـالتجديد يـجب أن يكون شجـاعاً وباسلا وأن يـكون مؤمنا وأن يـلتزم باصول الدين ولايخرج عنها.

ويقول الـدكتور الشقاقـى أيضا فى نفس المـرجع «إننا نعـتقد أن إحدى مشاكـلنا الفكرية أن هناك عدم توازن فى الرؤية والممارسة فالتركيز على التسامح يجعلنا نقبل الدنية فى ديننا، بينما التركيز على الـرفض يجعلنا نتجاهل تجارب الآخرين وإمكانية الإستفادة منـها، عدم التوازن فى فهم دور الغـيب وفاعليته فى الكـون والبشر يؤدى فى النهاية إلى إغفال قوانين الله وسننة الفـاعلة وإلى تأليه الإنسان وتخبطه، تضخيم

الماضى لايـؤدى إلا إلى العجـز عن التقـدم نحو المسـتقبل، ونـسيان تجارب المـاضى وتحلـيله عـلمياً لايضع إلا الـنماذج الـتائـهة المشـوهة، ومحـصلة لـكل ذلك يـجد المسلمـون أنفسهم وقد فقـدوا أداة الوعى الصحيـح وضاعوا فى ذواتهم بنـرجسية يحسدون عليها وابوا عن فهم حركة التاريخ التى تحكمها سنن الله الفاعلة.

ويقول « نحن ضد القوالب الجاهزة التى يفعلها شخص ما على مقاييس شخص ما، ثم يفرضها عـلى كل المسلمين، نحن مع أصول هذا الدين وقـواعده ولكننا ضد تكوين الشـخصية النمطية المـتشابهة المكررة لأن هذه الـشخصية ليست بالـشخصية الإسلامية ولـيست بالشخـصية المبدعة الطـبيعية التـى ستحمل راية هـذا الدين الى الأعلى والى الأمـام، نحن ضد القوالـب الجـاهزة ومع أصالة هذا الاسلام الـعظيم، لأننا نـنتمى الى ذلك الجـيل المتوهج المبـدع من صحابة رسول الـله صلى الله عـليه وسلم، ولاننا ننتمى الى تلك الأجيال المتواصلة التى حملت رايات التجديد فتركت لنا هذا التراث العظيـم، نحن مع جريان النهر وتقدمه لأننا مع منـبعه وتفجره، نحن مع سقوط الأمطار ودوائر فعلها لأننا مع السـحب السماوية الخيرة، ونحن مع تفتح زهور الشجر الدائم والمتواصل لاننا مع جذوره الممترة والضاربة فى عمق الخضب الاسلامى.

ويقول فتـحى الشقاقى «المـطلوب الأن إمتداد رأسى لـلفكر الاسلامى المـعاصر بجانب الامتداد الأفقى، المطلوب هو تعميق الوعى المعاصر بالاسلام، المطلوب الأن مواجهـة شاملة وعميـقة لهذه المرحـلة الدقيقة الـتى يمر بها المـسلمون فى رحلـتهم الشاقة والرائعة نحو الله العلى القدير.

وفى رؤية خلاقة ومبدعة وتجديدية يرصد الدكتور الشقاقى حال الانتاج الفكرى الاسلامى المعاصر قائلا من الملاحظ أن معظم الانتاج الفكرى الاسلامى المعاصر لم يستـطع حتى الآن أن ينـفذ الى أعماق مـهماته أو أن يواكـب هذا التصاعـد فى المد الاسلامى، إن كثيرا من الكتابات الاسلامـية الآن لا تعد وأن تكون محاولات سهلة ومجانية لاعادة مقومات تدركها أمتنا إدراكـا كاملا وسئمت غاية السأم من تكرارها وترددادهـا ونستـيطع أن نقـول أن الأنتاج الـفكرى الاسـلامى الآن يكاد يـنقسـم الى

قسمين، الأول هو الانـتاج الفكرى الذى يلتـزم بوعى أو بدون وعى بالفكـرة القائلة أن كل، ما أنزل الله عز وجل وحدده. رسوله العظيم قد تم فهمه وإستيعابه من قبل علمائنا الاوائل وأن ما علنيا الآن هو إعادة ترتـيب ذلك الفهم وتقديمة للناس بشكل يسهل عليـهم تمثله، وهؤلاء يقفون فى وجـه التقدم الاسلامى لأنهم لم يعـوا طبيعة الاسلام، وامكانـاته المتجددة الشـاملة والواعية فى كـل عصر، هؤلاء ينطـلقون من الجمود عـند حدود الماضى ويدعـون تمثيل المستـقبل، أما القـسم الثانى فهـو الانتاج الفكرى الذى يقول بأنه «الفهم العصرى للاسلام» وهو لابعدو أن يكون محاولات تلفيقيـة بين جوهر هذا الدين الحق وبين المنـاهج الفكرية الغربية، وهـؤلاء ينطلقون من واقع الآخـرين وليس من واقعـنا، من وعى الآخريـن وليس من وعينـا، وهم فى غمرة استلابـهم الروحى أمام الفكر الغربـى يحاولون أن يمرروا على أمتنـا هزيمتهم فى ثوب تلفيقى يدعون اسلامه».

* * *

وهكذا فإن الدكـتور فتحى الشقاقى يـرفض التراثية الواقفـة والجامدة ويرفض أيضا الانطلاق من رؤية الآخرين لتلفيـق نوع من الاتفاق الدينى معها، وهو يرى أن الاشكالية تتحدد فى كون الانسان المسلم الطلـيعى المتقدم لصياغة العالم من جديد، عليه واجـبات هائلة حتى يحـقق شهادته الكامـلة على عصره، فيحـاول أن يقف مع جوهر الاسلام الحق فى ضوء مـكتسبات الانسان المتواصلة فى حـياته الطويلة، وأن يقدم فهما حقيقيا وجادا ومعاصرا لاسلامـنا بعيدا عن جمود أدعياء التراثية وأدعياء العصـرية وأن يكون واعيـا تمام الوعى بأن هـناك أصولا فى هـذا الدين أنزلهـا الله العـزيز الحكيـم فى محكـم آياته المـباركات وأقرهـا رسوله الـعظيم وأجـمع عليـها صحابته وعلماء الأمة، هذه الأصول لاينبغـى الخروج عليها لأنها أمر الله عز وجل، وأنه لايجوز أن تتحول المحـكمات الى مشتبهات، ولا يجوز أيضـا تحول المشتبهات الى محكمات، لأنه فى ذلك حكرا على عقل الأمة وأجيالها وفى ذلك خلل فى ثقة المسلم بامكانات هذا الدين وتجددها عبر الزمان والمكان».

ويؤكد الدكـتور فتحى الشقـاقى هنا على ضرورة الـتزام المفكر المسلـم بشرطين

همـا أن تتحقـق فى شخصـيته العـبودية الكـاملة للـه، ثم الوعى الـشامل والدقـيق بمرحلته من أجل تقدم اسلامى حقيقى.

ويضع الدكتـور الشقاقى يده على نقـص كبير فى ظاهرة الصـحوة الاسلامية ألا وهى قضية الأدب والفن، فنحن نفتقد أدبا إسلاميا طليعيا حقيقيا، فإذا كانت الحركة الاسلاميـة تقود محاولة الـتغيير وإزاحة وجـه القبح الذى يـغطى العالم، فـكيف لا يحملها ولا تحمل هى أدبا وفنا تغييرا جديدا، كيف نفتقد الرواية الحقيقية والقصيدة المتوهجة والـسينما وغيرها التـى تستمد عمق الشـحنة الاسلامية المتفاعـلة مع عمق الحركة الكونية، فتكون شعلة الكشـف أمام أمتنا ومضاء السلاح فى يدها، وكيف لم نكتشف حتى الآن وسائلنا الفنية المحددة بمـنظورنا الاسلامى إن كنا فعلا نمثل تناسق هذا العالم وجوهره النقى وجماله».

* * *

(٧)

الوحدة فى المشروع الفكرى والحركى لفتحى الشقاقى

يمكننا أن نرصد بسهولة ذلك التلازم الحيوى بين كل من الوحدة والجهاد وبين الصعود الحضارى للأمة الاسلامية وبسقوط أو ضياع إحدى هاتين القيمتين يهبط المنحنى الحضارى للأمة الإسلامية وتتخلف على مستوى العمران والأخلاق وتتعرض للتحديات الخارجية والداخلية .

فالوحدة إذن عنصر أساسى من عناصر المشروع الحضارى الإسلامى وهى أولا فريضة شرعية وهى ثانيا ضرورة للصعود الحضارى الإسلامى ولحماية الأمة من أعدائها. وضرورة أيضا لتحقيق أكبر قدر من المنجزات العمرانية، وضرورة أيضاً لرقى الأخلاق والسلوك لدى أفراد هذه الامة .

والأمة الاسلامية طالما كانت موحدة كانت قوية قادرة على تحقيق رسالتها وقادرة على حماية نفسها من الأعداء وقادرة على تحقيق العمران وقادرة ايضا على الرقى الأخلاقى والسلوكى والاجتماعى، وطالما كانت مفككة كانت ضعيفة غير قادرة على اداء رسالتها غير قادرة على حماية نفسها من الأعداء وغير قادرة على تقديم إنجاز عمرانى ذى شأن ومنحطة أخلاقياً وسلوكيا واجتماعيا .

والنصوص الشرعية التى تؤكد فرضية الوحدة كثيرة ومتنوعة .

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» الأنبياء ٩٢

«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » المؤمنون ٥٢

«وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» آل عمران ١٠١

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» آل عمران ١٠٣

ونلاحظ فى الآيتين الأولى والثانية أن هنـاك ارتباطا بين الوحدة والأمة الواحدة وبيـن عبـادة اللـه فى الأولـى وتقـواه فى الثـانيـة وفى الآيـة الثـالثـة وضع الـوحدة والاعتصام كـمقابل للكـفر، وجعل الوحدة والاعتـصام هما الطريـق الى الصراط المستقيم وتستطيع أن تفسر الصراط المسـتقيم هنا بأنه طريق النجاة فى الآخرة والعزة والسيادة الحضارية فى الدنيا .

وفى الآية الرابعة نرى أن الله تعالى جعل الوحدة والاعتصام وعدم التفرق نوعاً من النعمة وهى بلا شك نعمة عظيمة وجعلـها ايضا طريقا لتجنب الهلاك فى الدنيا والآخرة وهى معلم مـن معالم الهداية وهى إحدى آيات الـله أى أن الوحدة آية من آيات الله تعـالى وهى نعمة وهى طريق لـتجنب البوار فى الآخرة والدنـيا على حد سواء .

ويقول الله تعالى «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات أولئك لهم عذاب عظيم »آل عمران ١٠٥

أى ان الفرقة طـريق الى العذاب العظـيم فى الآخرة والانحطـاط الحضارى فى الدنيا والسقوط فى الذلة والهوان .

ويقول تعالى «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون» الأنعام ١٥٩

«إنما المـؤمنـون أخوة فأصـلحـوا بين أخـويكـم وأتقوا الـله لـعلكـم ترحـمون» الحجرات ١٠

أى أن الوحـدة والأخوة هى إحـدى علامات الـرحمـة لانها تـنجى فـى الآخرة وتصنع التقدم والعزة والسيادة فى الدنيا .

ويقول الرسـول صلى الله علـيه وسلم «من فارق الجمـاعة شبرا فقد خـلع ربقة الاسلام من عنقه» أخرجه أبو داود

أى أن مجرد الـزحزحة عن الوحـدة ولو بشبـر واحد خروج على ربـقة الإسلام

وخلع لهذه الربقة من العنق بما يعطى الانطباع بمدى أهمية وخطورة فريضة الوحدة .ويقول «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» أخرجه البخارى ومسلم والترمذى

ويقول «يد الله مع الجماعة» أخرجه الترمذى

ولاحظ فى هذا الحديث الموجز أن مدد الله يأتى مع الوحدة أو الوحدة شرط لنزول مدد الله تعالى ومدد الله تعالى هائل. وأمة تستند إلى مدد الله تعالى ـ وهو أقوى الأقوياء ـ قادرة على النصر والسيادة والإنجاز الحضارى بصورة ضخمة جدا تتناسب مع المدد الذى يتنزل من الله العزيز القدير الحكيم العليم» الذى يملك خزائن كل شئ .

أى أن الوحدة فريضة شرعية، وطريق إلى النجاة فى الآخرة وطريق أيضا إلى العزة والسيادة والنصر وتحقيق أكبر المنجزات العمرانية فى الدنيا .

* * *

الوحدة الاسلامية شرط لازم لمواجهة التحديات التى تعانيها أمتنا اليوم، وطريق أكيد الى العزة ومواجهة الأعداء والنهضة فى كل المجالات، والأعداء يعرفون خطورة وأهمية هذه الوحدة . ولذا فإن مؤامراتهم على الوحدة الإسلامية لا تنقطع، بل نكاد نجزم أن أى محاولة وحدوية على أساس إسلامى تجعل القوى الاستكبارية تتحرك لضربها سلما أو حربا. ومن الاشياء التى يحظرها علينا الأعداء محاولات التوحيد بأى صورة من الصور بين أبناء العالم الإسلامى ونحن ندعو الى الوحدة، ندعو إلى قيام الخلافة الإسلامية باعتبارها فريضة غائبة ونسعى لتحقيق ذلك. وفى نفس الوقت ندعم ونرحب ونؤيد أى محاولات وحدوية بين هذا القطر أو ذاك مصر والسودان مثلا أو الوحدة العربية، أو تحقيق نوع من التنسيق فى أى مجال من المجالات بين الدول الاسلامية، آو حتى بين الشعوب والمنظمات الشعبية الإسلامية «كاتحاد المنظمات الهندسية فى العالم الإسلامى» أو أى شكل من الأشكال الوحدوية بشرط واحد، هو أن تكون طريقا إلى الوحدة الإسلامية وليس بديلا عنها أو بالتعارض معها .

والأعداء سخروا أقلاما عربية وإسلامية للأسف. للشوشرة على مرصبة الوحدة. بعدما نجحوا فى إسقاط الخلافة الإسلامية «كعلى عبد الرازق مثلا» وعلينا فى مواجهة ذلك أن نؤكد على فرضية الوحدة ونسعى لنشر الفكر الوحدوى والسلوك الوحدوى والممارسات الوحدوية وكشف صلة دعاة الإقليمية بالمشروع الاستعمارى وأنهم مجرد أبواق له .

أنه برغم سقوط الخلافة الإسلامية، كأسمى تعبير عن الوحدة الإسلامية فإن المظاهر الوحدوية فى وجدان الشعوب الإسلامية مازالت والحمد لله قوية. فنحن جميعا نؤمن بإله واحد وكتاب واحد ورسول واحد ونتجه جميعا إلى مكان واحد فى الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة «وهو الكعبة». ونحن جميعا نحتفل بعيد الفطر وعيد الأضحى ونحج جميعا فى وقت واحد إلى مكان واحد كل عام مرة ونصوم معا رمضان من كل عام. والإحساس بمشاكل المسلمين والتعامل معهم موجود والحمد لله فى كل مكان ولولا الشعور الوحدوى القوى لدى الجماهير، لما رأينا هذا التعاطف الشعبى الواسع مع القضية الفلسطينية فى كل مكان من العالم الإسلامى من تركيا إلى جنوب أفريقيا ومن طنجة إلى جاكارتا. وكذلك ظهر هذا الأمر جليا فى دعم الجهاد الأفغانى بالمال والسلاح، وكذلك التعاطف مع مسلمى البوسنة والهرسك وغيرها من المظاهر الوحدوية التى تعبر عن وجدان وحدوى قوى لدى الجماهير المسلمة.

وحتى المسلمون فى الغربة فى أمريكا واستراليا وأوروبا يتصرفون كجالية ذات سمات مشتركة ونجدهم يتعاطفون مع قضايا العالم الإسلامى ويدافعون عنها ويمارسون شعائر الإسلام معا لا فرق بين التركى والمغربى والباكستانى والهندى .

وعلينا أن نعمق هذا الشعور الوحدوى بكل وسيلة ممكنة. علينا أن نسعى لتوحيد التقويم على الأساس الهجرى مثلا فى كل البلاد الإسلامية، وتوحيد بدء الصوم والأعياد فى كل العالم الإسلامى وفى خارج العالم الإسلامى ايضا، وعلينا الاهتمام بإنشاء مؤسسات إعلامية ذات طابع عالمى إسلامى، ونشر تلك المواد الإعلامية التى تؤكد على قيمة الوحدة، وعلينا أن نحقق اتحادات للمنظمات المهنية فى العالم

الإسلامى وكذا اتحادات لـلهيئات الشعبيـة والنقابات وغيرها، وعلـينا أن ندعم أى تنسيق وتعاون فى أى مجال بين الشـعوب الإسلامية، بل والحكومات الإسلامية إذا أمكن ويمكن اتخاذ القضية الفلسطينية مثلا باعتبارها قضية مركزية للأمة الإسلامية كقـاعدة لـلانطلاق الـوحدوى والمـمارسات الـوحدويـة الإسلامـية ونشـر الفـكر والسلوك الوحدويين من خلالها، والوسائل كثيرة والمهم النية والجدية فى العمل .

قضية الوحدة الإسلاميـة لم تعد تحتمل التأجيل، لاننا بالـفعل كأمة مهددون فى وجودنا، وهناك مؤامرة دولية واسعة تستهدف إلغاء وجودنا من العالم أو على الأقل إلغاء وجودنا الحضارى والتحول إلى رقيق للقوى الاستكبارية، وهناك تطهير عرقى للمسلين فى الـبوسنة والـهرسك والهنـد، وهناك اضطهـادات وتوسع يتـم على حساب المسلـمين فى أذربيجان وفلسـطين وبورما .... والقائمـة طويلة جدا، والعالم كله يتجه إلى الكيانات الكبيرة والوحدة الأوروبية والوحدة الأمريكية، دول النمور الآسيوية .... الـخ ، وفى عصر الكيانات الكبرى لا بديل أمـام المسلمين عن الوحدة إن أرادوا الحياة والـعالم الإسلامى يمتلك مـقومات اقتصادية واستـراتيجية هائلة وبشرية أيضـا. فهناك ١٤٠٠مليون مسلم، وهناك رقعة جغرافـية هائلة تقع فى أهم مـناطق العـالم المتحـكمة فى أخـطر طرق المـواصلات والشرايـين الاقتصـادية الحيوية، وهناك البترول والفوسفات واليورانيوم وغيرها من المعادن التى يكاد العالم الإسلامى يمتلك معظمها، وهناك الأقاليم المناخية المختلفة التى تحقق تنوعا هائلا فى الإنتاج وهناك الأراضى الخصبة وموارد المياه والطـاقة الهائلة، وهناك الإنسان المسلم الذى يستطـع بالإيمان أن يكون أفضل النـوعيات البشرية علـى الإطلاق. وبعد هذا فلا حجة لنا إن تقاعسنا عن إرادة الحياة ، إرادة الوحدة.

على خـلاف كبير بين علـماء الاجتماع فـى تحديد العنـاصر التى تشكـل أمة من الأمم أو قومية من القوميات، فمنهم من يجعل تلك العناصر اللغة الثقافة، التاريخ المشترك ، التحديـات المشتركة الجغرافية المشتركة ، الجنـس الواحد .... إلخ. ومنهم من يرفض جعل هـذه العوامل أو احدها شرطا لازما لظهور الأمـة بدليل أن هناك دولا تتـكلم الإنجلـيزية دون ان تشـكل أمة واحدة والأمـر نفسه بـالنسبـة للعنـاصر

الأخرى ... وهكذا إلا أن هناك عدداً من الملاحظات التى ينبغى أن نسجلها هنا أولها أن هناك خلطا بين مفهوم القومية بالمعنى الغربى وبين مفهوم الأمة، وجميع مدارس الفكر الاجتماعى تحدثت عن مفهوم القومية ولم تتحدث عن مفهوم الأمة، لسبب بسيط هو أن هذا الفكر نشأ نتيجة ظهور الدول القومية فى أوروبا، وأن هؤلاء المفكرين لم يعرفوا معنى الأمة بالمفهوم الحضارى الإسلامى. وثانيها أن جميع العناصر التى اعتبرت أساسا فى تشكيل قومية ما ليست سوى نتائج لتكوين هذه الدولة القومية أى أنها مجرد وصف للظاهرة وليست سببا لها، وهى نتيجة لظهور الدولة القومية وليست سببا لها، بمعنى أن اللغة مثلا والثقافة والتاريخ وغيرها نشأت بعد تكوين الأمة وكنتيجة لها وليس العكس .

وثالثها أننا أمة ذات ملامح خاصة جدا «ربانية» وبالتالى فلا يمكن إخضاعنا للمعايير الغربية لاختلاف السياق الحضارى .

وعلى أى حال فإن القرآن الكريم يحدد لنا العناصر الأساسية لأمتنا وأسباب ظهورها ونتائجها فيقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»

أى أن سبب نشأة الأمة وعناصر تكوين هذه الأمة هو الرسالية أو المهمة التى تقوم بها هذه الأمة، او الرسالة الحضارية لتلك المجموعة من البشر هى التى جعلتهم يشكلون أمة .

فالإسلام بداية هو الذى صنع هذه الأمة، وهو الذى أعطاها المنظومة الثقافية الواحدة ، ومن خلال مهمتها الموكولة إليها نشأ التاريخ المشترك والمصير المشترك .... وغيرها من العوامل التى تنتج عادة عن تكوين الأمم .

الأمة الاسلامية نشأت من خلال مهمتها ألا وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أى الاضطلاع بمسئولية القضاء على الظلم والفساد والطبقية والاستبداد والتعصب وغيرها من أنواع المنكر، وحماية الضعفاء والرحمة بهم ودعوة الناس لكل خير ومعروف، اى الدعوة إلى المعروف ونشره ومنع المنكر والقضاء عليه

سلما أو حربا، ومن خلال العمل لتحقيق ذلك نشأت الأمة الإسلامية، وهى أمة منفتحة لا تقوم على جنس أو لون أو قرابة دم أو غيرها بل هى تفتح ذراعيها لكل من يريد الدخول فيها من كل لون وجنس وأرض، والانخراط بالتالى فى مهمتها فى إزالة المنكر عن الأرض ونشر المعروف فى ربوع العالم.

وهكذا نجد أن الأمة الإسلامية ترفض مفهوم العرقية والتفرقة العنصرية على اساس اللون أو الجنس «كلكم لآدم وآدم من تراب» « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى»، ليس منا من دعا إلى عصبية ليس منا من قاتل على عصبية، ليس منا من مات على عصبية».

ونجد ان الأسود والأبيض والأصفر والأحمر - الأوروبى والعربى والأفريقى والتركى والهندى والإيرانى، من يتكلم العربية ومن يتكلم غير العربية، كلهم جميعا شاركوا فى تشكيل هذه الأمة من خلال الاضطلاع بمهامها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله.

وتمثل «الوحدة» محورا أساسيا فى المشروع الفكرى والثورى للدكتور فتحى الشقاقى ولا شك أنه كرس جزءا كبيرا من مشروعه الفكرى وممارساته الحركية لتأكيد هذا المفهوم ودفعه إلى الأمام. ويرى الدكتور فتحى الشقاقى أن واقع التجزئة والإقليمية هى إحدى نتائج النفوذ والهيمنة الغربية، وأن الوحدة بالتالى شرط لمواجهة مشروع الهيمنة الغربى .

يقول الدكتور فتحى الشقاقى فى كتابه« الشيعة والسنة ضجة مفتعلة ومؤسفة» من منشورات المختار الإسلامى ص ١٥

«منذ سقوط النظام السياسى المتمثل فى دولة الخلافة آخر الدول الإسلامية على يد مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤، والوطن الإسلامى يمر بموجات متتالية من النكبات والكوارث، التى مكنت للنفوذ والهيمنة الغربية من الاستمرار والحضور العنيف، وربما كانت الدولة العلمانية اللقيطة التى أفرزها المشروع الاستعمارى الحديث أحد أهم أدوات الغرب فى هذا الحضور، فعن طريقها تم تكريس واقع

التجزئة والإقليمية فى مقابل الأمة الواحدة والوطن الواحد على مدى ثلاثة عشر قرنا، ثم تكريس مناهج التغريب وآثارها التدميرية فى مقابل التوحيد ومنهج الإسلام طريق الحق والسلام والكرامة، كما تم فى ظل ذلك تنفيذ أهم أهداف الهجمات الغربية، واكثرها خطورة حين تم إفراز الدولة العبرية فى القلب من الوطن الإسلامى».

ولتحليل مضمون ما قاله الدكتور فتحى الشقاقى فى هذا الصدد نجده قد ربط بين مشروع الهيمنة الغربى الاستعمارى، وبين تكريس واقع التجزئة والاقليمية ثم إفراز دولة إسرائيل، وتكريس التغريب الفكرى والثقافى، ولا شك أن هذه أمور مترابطة بل هى تمثل منظومة سياسية واحدة استخدمها الغرب، فالتجزئ والاستعمار والهيمنة الغربية والتغريب وإسرائيل، كلها حلقات فى نفس السلسلة، وبالتالى لمواجهة هذا التحدى فإن هناك التوحيد ومنهج الإسلام ورفض الدولة العلمانية اللقيطة والجهاد لتحرير فلسطين والتصدى لحالة الاستلاب والتغريب التى يكرسها الغرب .

ويرصد الدكتور فتحى الشقاقى محاولات الغرب ومشروعه للهيمنة على العالم الإسلامى من خلال فكرة التجزئة والتفسيخ «فالغرب قد تحرك على عدة محاور لضرب الثورة الإسلامية فى إيران بإثارة الأقليات القومية ... ثم إثارة الفتنة بين السنة والشيعة « الشيعة والسنة» نفس المرجع السابق ص ١٦

ويضيف الدكتور فتحى الشقاقى «وإذا كانت كل المحاولات قد باءت بالفشل فإن المحاولة الاخيرة من إثارة الفتنة بين السنة والشيعة، قد حققت بعض النجاحات لأنها تتم خارج الارض الإيرانية ويقودها طابور ضخم من وعاظ السلاطين الذين جندتهم الأنظمة الطاغوتية فى هده المؤامرة الصهيونية»

وهكذا يضع الدكتور فتحى الشقاقى يده على الجرح تماما ويحدد أن ضرب الوحدة الإسلامية من خلال الفتنة بين السنة والشيعة هدف ثابت لمشروع الهيمنة الغربى، بل وأيضا مؤامرة صهيونية تستهدف حماية إسرائيل وتكريس وجودها

وتوسعها، لان الوحدة طريق أكيد للقضاء على المشروع الإسرائيلى، وكذا مشروع الهيمنـة الغربية. ولأن الدكتور فـتحى الشقاقى يشـفع القول بالعمل، فـقد تصدى شخصيا، وكـذا تياره الفكرى والسياسـى لهذه الفتنة، وكان فكـرا وممارسة نموذجا للدعوة إلى الوحدة وتحقيق شروطها، والدكتور فـتحى الشقاقى السنى حتى النخاع ـ تصدى بجرأة لتقيد آراء وأفكار الغرب فى الفـتنة بين السنة والشيعة، واستطاع أن يرصد فى كتـابه الوحدوى الهام «الشيعة والـسنة ضجة مفتعلة ومـؤسفة، عشرات الأدلة الـشرعيـة التـى تؤكد وحـدة الأمة الإسلامـية مـن شيعـة وسنة فـاللـه واحد والرسول واحد والقرآن واحد، بـل والوحدة بين الشيعة والسنة ضـرورة للطرفين وليست فقط مسألة شرعية، فهى ايضا ضرورة اسـتراتيجية لمواجهة مشروع الهيمنة الغـربى الذى لا يفـرق بين مسلـم سنى ومسـلم شيعـى، بل يريد ضـرب الإسلام كدين وحـضارة بكل تياراتـه الفكرية والسـياسية لصالـح مشروع التجزئـة والدولة الإقليمية العلمانية التفسيخية .

ويرى الدكتور فتحى الشقاقى أن الفتنة والـتفسيخ وإثارة النزاعات المذهبية يكون عادة مواكبا لفترات الانحطاط والهزيمة فى تاريخنا، حيث سيادة التقليد والتعصب المقيت فتـحولت المدارس الفكرية التى بناها الأئمة العظام الـى أحزاب يرهب كل منها الآخر، باستخدام سـلاح التكفير حينا وإشعال نار الفتنة فـى البيوت حينا آخر» الشيعة والسنة نفس المرجع السابق ص ١٨ .

ويفند الدكتور فتحى الشقاقى حجـج وترهات مدرسة الفتنة ورموزها ويعطى الدليـل الشرعى والتـاريخى على فـساد هذه الحجـج والآراء، ولا يقتصر الـدكتور فتحى علـى ذلك بل يقدم عشرات الأدلة نـقلا عن علماء الإسلام المحتـرمين ونقلا عن قيادات فكرية وحركية فى جماعات الإسلام السياسى المعاصر والتى تؤكد كلها علـى وحدة الأمة، فـهو ينـقل ما يـؤكد هـذه الوحدة عـن الحاجة زيـنب الغـزالى والأستاذ عمر التلمـسانى، والأستاذ فتحى يكن، والاستاذ محمـد على الصفتاوى، وسالـم البهـنساوى، وعـبد المتـعال الجبرى، والـدكتور إسـحق موسـى الحسيـنى، والشيخ محمد الغزالى، والدكتور صبحى الصالح، والدكتور عبد الكريم زيدان،

والشيخ سعيد حوى والأستاذ أنور الجندى وغيرهم من القيادات الفكرية والسياسية للحركة الإسلامية المعاصرة .

كما اعتمد الدكتور فتحى الشقاقى لتأكيد الوحدة والقضاء على الفتنة على دراسة تجربة التقريب بين المذاهب الإسلامية التى شارك فيها شيخ الازهر الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ محمود شلتوت وغيرهم، وأن الإمام الشهيد حسن البنا قد شارك بنشاط فى هذه التجربة لأنه كان يعمل جاهدا على التقريب بين المذاهب حتى لا يتخذ أعداء الإسلام الفرقة بين المذاهب منفذا يعملون من خلاله على تمزيق الأمة.

وكذا يرصد الدكتور فتحى الشقاقى الآراء الهامة التى تؤكد على التوحيد فى مواجهة التفسيخ التى قالها علماء كبار أمثال الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الحميد سليم والشيخ محمد ابو زهرة والدكتور مصطفى الشكعة والدكتور عبد الحليم محمود والأعظمى والمودودى، وكذا عدد من الكتاب والمفكرين الإسلاميين أمثال حسن أيوب وسميح عاطف الزين والدكتور عرفات عبد الحميد والدكتور على سامى النشار، والدكتور محمد شريف والدكتور على عبد الواحد وافى .

وهكذا فإن الدكتور فتحى الشقاقى وبمجهود كبير استطاع أن يرصد آراء العلماء القدامى والعلماء والمفكرين وأساتذة الجامعة وقيادات الحركات الإسلامية المعاصرين للتأكيد على الوحدة .

ويعلق الدكتور فتحى الشقاقى على ذلك بقوله ص ٤١ " وبعد فهذا رأى البنا وشلتوت وأبو زهرة والغزالى والتلمسانى وفتحى يكن وأنور الجندى وعبد الكريم زيدان والشكعة وخلاف والبهنساوى وسعيد حوى ووافى والأعظمى والمودودى وحسن أيوب ومشايخ الأزهر وغيرهم من أعلام المسلمين وقادتهم فماذا تعنى هذه الاصوات الغريبة التى نسمعها من وقت لآخر تدعو للتكفير وإشعال نار الفتنة وسكب المزيد من المرارة فى الحلوق والمزيد من الحقد فى الصدور، ماذا يريد رسل البغضاء والوقيعة من أوراقهم ومحاضراتهم غير أن يتسع الحريق، بينما

سيف المستكبرين معلق فوق رقابنا، وفى وطن يحتله أربعة ملايين يهودى، ولا نجد فيه شيعيا واحدا ماذا يجدى جر المسلمين إلى هذا المسلسل الجهنمى إلا إلهاء الناس وجرهم بعيدا عن المشكلات الحقيقية ».

ولا شك إن ما قام به الدكتور فتحى الشقاقى من مجهود فكرى وكذا مجهود حركى وسياسى فى القضاء على فتنة التفريق بين المسلمين سنة وشيعة أمر من أهم الإنجازات الفكرية والسياسية والحركية للدكتور فتحى الشقاقى، وكان الدكتور فتحى الشقاقى بهذا الموقف نموذجا للمسلم المعاصر الذى يدرك تحديات اللحظة ويعطيها الاجابة الفكرية والسياسية الصحيحة استنادا إلى الأصول الإسلامية الثابتة.

وأذكر أننى شخصيا تناقشت مع الدكتور فتحى الشقاقى فى مسألة السنة والشيعة، وقلت له ان رأيى هو أن هناك بالفعل خلافات بين السنة والشيعة، وأن السنى سيظل سنيا والشيعى سيظل شيعيا ولكن عوامل الوحدة - خاصة مع وجود التحديات أكبر وينبغى الاعتراف بالخلاف والانطلاق إلى التعاون وهذا النمط من الوحدة واقعى وعملى ومفيد.

وإننى شخصيا أعترض على محاولات البعض تكفير الشيعة او إخراجهم من زمرة المسلمين، فهذه محاولات أمريكية وإسرائيلية فى ثياب وأقنعة مختلفة. وبنفس القدر أرفض محاولات بعض القوى الشيعية للدعوة إلى التشيع بين صفوف السنة لأن هذا مدعاة للفتنة الكبيرة وقد وافق الدكتور فتحى الشقاقى على ذلك تماما وقال لى إن الامام الخومينى كان يستاء شخصيا كلما سمع عن محاولات البعض الدعوة إلى التشيع فى صفوف السنة .

* * *

لم يقتصر الإسهام الفكرى والحركى الوحدوى للدكتور فتحى الشقاقى على مسألة القضاء على الفتنة بين السنة والشيعة، بل تعداه إلى تقديم الإطار النظرى الوحدوى الإسلامى وكذلك دراسة التطور التاريخى والأسباب التى أدت إلى التجزئة فى الوطن الإسلامى، كما اهتم حركيا وسياسيا وفكريا بالحركات الإسلامية فى العالم الاسلامى كله: فى إيران والعراق وسوريا وفلسطين ومصر والأردن

وتركيا والجزائر والسودان. كما أسهم فى نشأة التجمعات الشعبية الإسلامية العالمية مثل المؤتمر الشعبى الإسلامى، والقيادة العالمية الإسلامية. وحتى اللحظة الأخيرة من حياته كان يهتم بقضايا العالم الإسلامى فى البوسنة والشيشان وأبخازيا واذربيجان، كما اهتم بالأقليات الإسلامية فى كل مكان فى العالم.

ويرى الدكتور فتحى الشقاقى أن إحدى مهمات دولة إسرائيل التى من أجلها دعمها الغرب «أنها حارس لنظام التجزئة» وهكذا يفهم الدكتور فتحى الشقاقى أن الوحدة مستهدفة من المشروع الغربى والإسرائيلى.

ويقول الدكتور فتحى الشقاقى «لابد من وضع مسألة الوحدة على ذروة جدول أولويات المفكرين والدعاة والعلماء والتنظيمات السياسية والدول ونقل ذلك إلى ارض الممارسة الفعلية ويستدعى هذا إعادة العمل بقاعدة الأمة التاريخية «تقديم الوحدة على العدل» إذ يجب ان نسير جميعا إلى خيار الوحدة مهما كان اعتقادنا بأن فى ذلك الخيار بعض الهضم لحقنا فيما نراه - فكريا أو سياسيا أو ماديا - صوابا. ولابد أن ينعكس هذا على إنهاء حالة الصراع والتدافع بين القوى والمنظمات وعلى تقليص حالة التشرذم السياسى، وقبل ذلك وبعده لابد من إعادة الروح إلى حركة الجماهير الوحدوية، إن هناك فروقا فى هذه المرحلة فى مستوى المعيشة بين بلد عربى أو إسلامى وبلد آخر، وكذلك فى مستوى التعليم والخدمات، وإن هذا الأمر المؤقت والعابر فى معظم الحالات لابد ألا يمنع حكومة ودولة وشعبا من اختيار الوحدة مع دولة أو شعب آخر. من ناحية أخرى لابد أن تلتزم قوى الأمة السياسية والشعبية بقاعدة أساسية، هى أنه فى الوقت الذى لابد أن يكون فيه خيار الوحدة خيارا شعبيا وألا يفرض بالقوة والعنف من القوى على الضعيف لما فى ذلك من تقويض لقيم الوحدة ذاتها، والى جانب ذلك لابد من العمل ضد كل اتجاهات التجزئة، مهما كانت راية هذه الاتجاهات. وبشكل مماثل يجب العمل ضد إقامة أية كيانات جديدة منفصلة فى المنطقة «الصحراء الغربية مثلا» مهما كان الموقف من القوى التى تدعو لذلك. ان الأطر الرسمية الحالية كالجامعة العربية ومؤسساتها والمؤتمر الإسلامى ومؤسساته، لابد أن ترى من زاوية

إيجابية، وأن تستخدم لتقرير التضامن وإلزام دولها الأعضاء بميثاقها وقيمها، فى الوقت نفسه الذى يتم فيه تطويرها وإنجاز مشاريع وحدوية خارجها » فتحى الشقاقى- الاستقلال والتبعية فى الحوض العربى الإسلامى مجلة منبر الشرق العدد ٨ - يوليو ١٩٩٣.

وهكذا فإن الدكتور فتحى الشقاقى أولا يريد تثبيت حالة الواقع العربى والإسلامى وإيقاف التجزئة المستمرة ثم إعطاء الروح للبنى والمؤسسات ذات الطابع الوحدوى وتطويرها لتحقيق إنجاز أكبر ثم إنجاز مشاريع وحدوية خارج تلك البنى والمؤسسات .

وهذه بلا شك نظرة واقعية ومبدئية فى نفس الوقت، ومن المهم هنا أن نلفت النظر إلى إدراك الدكتور فتحى الشقاقى أن الوحدة عمل جماهيرى فى المقام الأول فلابد من إعادة الروح إلى حركة الجماهير الوحدوية .

والوحدة عند فتحى الشقاقى ليست وحدة الأمة الإسلامية فقط، ولكنها أيضا دعوة للوحدة فى كل عمل ومسار وحركة، فهو يؤمن بالوحدة حتى النخاع. ولأنه ابن بار من أبناء الحركة الإسلامية وأحد كبار مفكريها فى القرن العشرين، فان من الطبيعى أن يدعو فتحى الشقاقى إلى وحدة الحركة الإسلامية .

وفى هذا الصدد يقول فتحى الشقاقى فى العدد ١٩ المختار الإسلامى يناير ١٩٨١«إننا ندعو كل فصائل وقوى الحركة الإسلامية إلى الوحدة من خلال تصور واحد لا يتغير «إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» فلم تعد اللحظة التاريخية تحتمل هذا الانهيار وهذا التشرذم وهذا الغياب. لقد قضى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين عاما حتى انتصر على قريش، فماذا أعددنا اليوم وأمامنا مليون قريش؟ إن وحدة الحركة الإسلامية مطلب فى غاية الأهمية ليس كتكتيك مرحلى، بل كقضية استراتيجية، إذ لا جدوى من الحديث عن فعالية النشاط الإسلامى بدونها فهى تعنى وحدة الإرادة الإسلامية ووحدة الوعى الاسلامى، ومن ثم وحدة الفعل والفعل الإيجابى على طريق الانتصار. وبها

وحدها يصبح هذا الانهيار أحد صور التحول التاريخى نحو ميلاد جديد ونحو أزمنة جديدة، ينحسر فيها الزبد ويتنامى فيها المد الإسلامى الذى كان دوما ما كنا فى الأرض .

ويضيف الشقاقى ولكن الحديث عن الحركة سيبقى لغوا لا طائل تحته إن لم تستوعب جملة مفاهيم هامة منها:

ليس هناك معنى لحركة إسلامية لا يوجد فيها مكان للجهاد بمفهومه الشامل. وبرنامج يحدد أولويات هذا الجهاد: بل ليس هناك معنى لحركة إسلامية لم تميز بعد أن حكومات الوطن الإسلامى هى نفسها تلك الوجوه القرشية القديمة، بل أشد سوءا فهى اختلفت الوان أعلامها والنوتة الموسيقية لأناشيدها الوطنية .

يجب أن ترفض الحركة الإسلامية أى تحالفات تكتيكية أو غير مبدئية مع أى قوى سائدة، وتقف مع الجماهير، القوى الحقيقية التى يجب تبنى مطالبها وفضح أساليب خداعها والاعتراف بأن العزلة عنها لن تأتى إلا بمزيد من التخبط والإفلاس والانتحار السياسى .

يجب على الحركة الإسلامية ان تعى ما يحدث فى الزمن الآتى من خلال رؤية تحليلية لمراكز القوة المؤثرة وأطراف الصراع، ثم تبحث عن كل هذا فى التاريخ الذى ستبقى دراسته واستيعابه ملاذا آمنا لاستقرار المستقبل .

يجب أن تنظم هذه المفاهيم وغيرها من خلال برنامج متكامل للعمل يحمل رؤى واضحة الأبعاد والمعالم، يحدد بصفة أساسية نقطة البدء والوسائل والأهداف وأولويات الجهاد، وبدون ذلك ستبقى ودوما كمن يحرث فى البحر .

الفهرس

